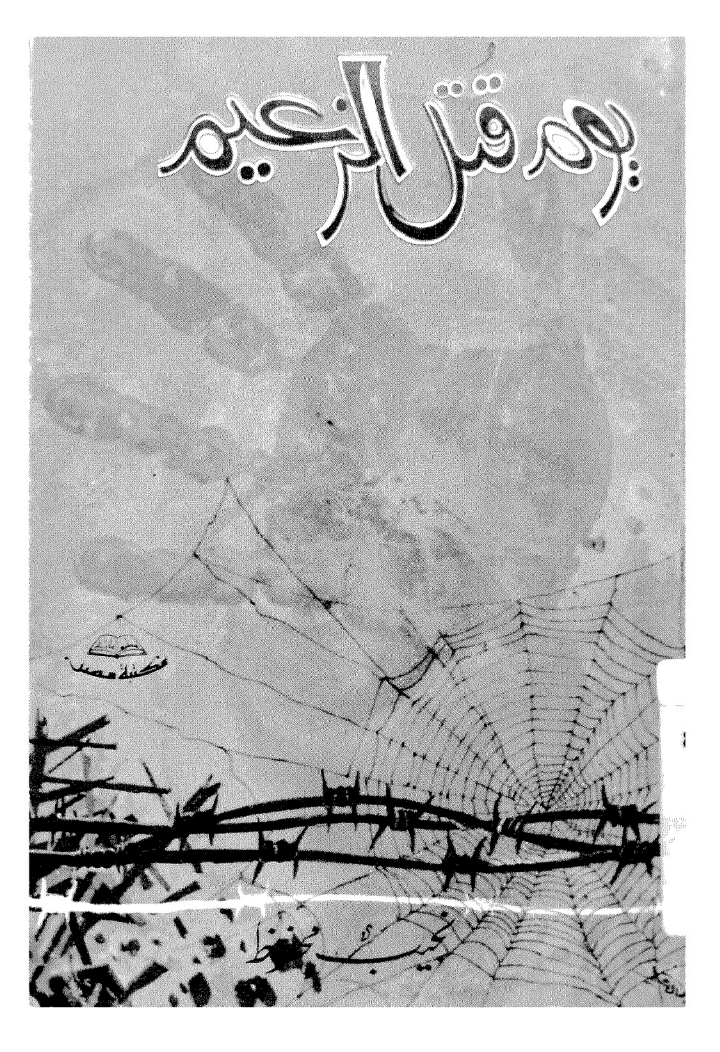


يوم قتل الزعيم
مكتبة مصر
نجيب محفوظ


يوم قتل
الزعيم



يوم قتل الزعيم



نجيب محفوظ

الحائز على جائزة الدولة التقديرية

وجائزة نوبل العالمية للآداب لعام ١٩٨٨

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وشركاه

محتشمي زايد

نوم قليل وفترة انتظار ثملة بالدفء تحت الغطاء الثقيل . النافذة تنضح بضياء خفيف ولكنه يتجلى بقوة فى ظلام الحجرة الدامس . اللهم إنى أنام بأمرك وأصحو بأمرك وأنك مالك كل شيء . هاهو أذان الفجر يفتح يومى الجديد ، ويسبح فى بحر الصمت الشامل هاتفا باسمك . اللهم عونك لهجر حنان الفراش والخروج إلى قسوة برد هذا الشتاء الطويل . حبيبى يغط فى نومه فى الفراش الآخر فلأتلمس طريقى فى الظلام أن أوقظه . ما أبرد ماء الوضوء ولكنى أستمد الحرارة من رحمتك . الصلاة لقاء وفناء . من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . كل يوم لا أزداد فيه علما يقربنى إلى الله فلا بورك لى فى شمس ذلك اليوم . أنتزع نفسى من تأملاتى أخيرا لأوقظ النيام . أنا منبه هذه الأسرة المرهقة . حسن ألا تخلو من نفع وأننى فى هذا العمر . طاعن فى السن متين الصحة بفضل الله . لا بأس أن أضيء المصباح الآن . وأنقر باب الحجرة بأصبعى هاتفا « فواز » حتى أسمع صوته وهو يقول « صباح الخير يا أبى » . أرجع إلى حجرتى وأضيء مصباحها أيضا فأرى حفيدى مستغرقا فى نومه لا يبدو منه إلا وسط وجهه بين حافتى الغطاء والطاقية . ما باليد حيلة . على أن أخرجه من دنيا الراحة إلى الجحيم . وأهمس بقلب مفعم بالعطف عليه وعلى جيله « علوان .. اصحَ » . ويفتح عينيه العسليتين ، ويتثاءب ، ويقول باسما « صباح الخير يا جدى » . ويعقب ذلك حركة أقدام ، ونشاط ألسنة ،

وحياة تدب ما بين الحمام وحجرة السفرة . وأستمع إلى قرآن الصباح فى الراديو حتى تناديني هناء زوجة ابنى « السفرة جاهزة يا عمى » . أهم ما بقى لى فى مسرات الدنيا الطعام . ما أكثر نعم الله فى دنياه . اللهم جنبنى المرض والعجز . لا أحد ثمة للعناية بالآخرين . ولا فائض مال للتمريض . الويل لمن يسقط . يجمعنا فى الصباح المدمس وحده أو الطعمية . هما معا أهم من قنال السويس . سقيا لعهد البيض والجبن والبسطرمة والمربى ، ذلك عهد بائد ، أو ق . ا . أى قبل الانفتاح . الأسعار جنت ، كل شيء قد جن . مازال فواز مائلا للبدانة ، وهو يستعين بالخبز ، ومثله هناء ولكنها تسرع نحو الكبر قبل الأوان . ابن خمسين يبدو اليوم كأنه ابن ستين . وقال فواز بصوته الجهير :

ـــ سنعمل أياما صباحا ومساء بالوزارة فأضطر إلى الانقطاع عن الشركة ..

ساورنى قلق . إنه وزوجه يعملان فى شركة قطاع خاص . ودخلهما ومعاشى ومرتب علوان تفى بالكاد بضرورات الحياة فما الحال إذا استغنت عنه الشركة ؟!

فقلت برجاء :

ـــ لعلها أيام قليلة .

وقالت هناء :

ـــ سأقوم ببعض عملك وآتيك بما لم ينجز منه واشرح لمدير القسم ظروفك ..

فقال فواز متسخطا :

ـــ هذا يعنى أن أعمل من الصباح حتى منتصف الليل .

أتمنى دائما ألا نثير غبار الهموم على مائدة الطعام ولكن كيف ؟. وقال

علوان :

ـــ والد أستاذتى علياء سميح يسوق تاكسى فى أوقات فراغه ويربح أكثر طبعا .

فسأله والده :

ـــ هل يملك التاكسى ؟

ـــ أظن ذلك .

ـــ ومن أين لى بشراء واحد ؟! ، وهل كان أبو أستاذتك غنيا أو مرتشيا ؟

ـــ كل ما أعرفه أنه رجل محترم .

فقلت :

ـــ اختار طريقا شريفا فى النهاية .

فقال علوان ضاحكا :

ـــ لعلى أختار طريقا مثله يوما ما .

فسألته هنَاء بجدية :

ـــ ماذا ستفعل ؟

ـــ سأكون عصابة للسطو على البنوك !

فقال فواز بامتعاض :

ـــ خير ما تفعل .

ومسحت الأطباق مسحا ، ومضت بها هناء إلى المطبخ ، وما لبثوا أن ودعونى وذهبوا . وجدتنى فى الشقة الصغيرة وحيدا كالعادة . اللهم ارزقهم واكفهم بثبر الأيام . اللهم امنحنى شيئا من نعمة القرب والولاية . لو تركت البيت على حاله لبقى ملهوجا فى فوضى شاملة حتى

المساء . أفعل ما أستطيع فى حجرة نومى ، وحجرة المعيشة حيث أمضى وحدتى مستمعا للقرآن والأغانى والأخبار فى رحاب الراديو أو التليفزيون . لو توجد حجرة رابعة لأمكن أن يقيم علوان فيها عشه . الحمد لله لا اعتراض على قضائه . مر العارف أبو العباس المرسى بالقاهرة بأناس يزدحمون على دكان خباز فى سنة الغلاء فرق قلبه لهم ، ثم وقع فى نفسه أنه لو كان معى دراهم لآثرت بها هؤلاء فأحس بثقل فى جيبه فأدخل فيه يده فوجد فيه جملة من الدراهم فأعطاها للخباز وأخذ بها خبزا فرقه ، فلما انصرف وجد الخباز الدراهم زائفة فاستغاث عليه وأمسكه . فعلم أن ما وقع فى نفسه من الرقة اعتراض على قضاء الله فاستغفر وتاب وسرعان ما تبين للخباز أن الدراهم صحيحة ! ذلك هو الولى الكامل ولا تتأتى الولاية إلا لمن يعرض عن الدنيا . شارفت الثمانين وما وسعنى أن أعرض عن الدنيا . هى دنيا الله وهبته الخاطفة لنا فكيف أعرض عنها ؟ . أحبها ولكن حب الحر التقى العابد فلمَ تضن على بالولاية ؟ . يهمنى القرآن والحديث كما يهمنى الانفتاح وكما تهمنى لقمة المدمس بالزيت الحار والكمون والليمون . ومن ذا يحيط برحمة الله الواسعة فقد أشير ذات يوم من بعيد إلى المصباح فيضىء دون أن أمس مفتاحه . لم يبق لى من أصدقاء العمر إلا واحد فرقت بيننا الشيخوخة . وحدة النفس والمكان والزمان . وكفت العينان عن القراءة منذ عام . نومى قليل جدا ولا أخاف الموت . أرحب به حالما يجىء ولكن ليس قبل ذلك . عندما افتتح الملك فؤاد المدرسة انتدبت لإلقاء كلمة المدرسين . يوم مجد . أثلج صدرى هتاف الأولاد « يعيش الملك ويحيا سعد » . تغير الهتاف وتغيرت الأغانى . انفجر أخيرا الغلاء . من وراء الزجاج المغلق أرى النيل والأشجار . بيتنا

أقدم وأصغر بيت فى شارع النيل . قزم وسط العمائر الحديثة . النيل نفسه تغير و كأنه مثلى يكابد وحدة وشيخوخة . لبسته حال واحدة ، فقد مجده وأطواره ، لم يعد فى مقدوره الغضب . ما أكثر السيارات ، ما أكثر الثروات ، ما أشد الفقر ، ما أكثر الأحباب الراحلين ! . يوم غائم منذر بالمطر . فى مثله كانت تحلو الرحلة إلى حدائق القناطر . أصدقاء العمر يجتمعون حول الدجاج المقلى والبطاطس والشراب والفونوغراف . أسمر ملك روحى ، إن كنت اسامح وانسى الأسية . كلهم هياكل عظمية وضحكاتهم المترعة بالسرور والأمان ذابت فى تضاعيف الفضاء . وقفوا ورائى صفا ليلة الزفاف . ليلة كشف النقاب لأول مرة عن وجه فاطمة . خمس سنوات مضت على آخر زيارة لقبرك . أى سرعة جنونية فى هذا الزحام الذى لم تعرف له الأشجار مثيلا مذ غرست فى عصر إسماعيل ! . المجنون يجرى بلا وعى نحو حادثة يرصده عندها الأجل . قال رسول الله ﷺ (يا عبد الله ، كن فى الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل ، واعدد نفسك فى الموتى) . صدق رسول الله

علوان فواز محتشمى

صباح يوم جديد . قديم . جديد قديم . جديد قديم . جديد قديم جديد قديم . قديم جديد . دوخينى يا ليمونة . إن لم يوجد قديم حسن فليوجد جديد سيىء . أى شىء خير من لا شىء . الموت نفسه تجديد .

المشى صحة واقتصاد . المفروض أنه طريق العشق والجمال فانظر ما هو .
آه يا قدمى ! آه يا حذائى ! تحملا وتصبرا هذا زمن التحمل والتصبر .
فى زمن النار والوحوش لا نسمة ترطب الفؤاد إلا أنت يا حبيبتى .
للأشجار الباسقة فضل وللنيل فضل أيضا لا ينكر . انظر إلى أعلى إلى
السحب البيضاء ورءوس الأشجار لتنسى سطح الأرض المجدور . ستلقى
يوما شيطانا بريئا فتؤاخيه . إلى عبد العقل الراجح والخلق الكريم والعينين
السوداوين المظللتين بحاجبين مقرونين . منذ الصغر منذ الصبا منذ
الشباب فى البيت القديم الضائع بين العمائر الشاهقة ، دسيسة بين
الأغنياء . سيقتلنا صاحب البيت ذات يوم . عجيب أن يخلد الحب فى ظل
الفساد المنتشر . هذا الطوار المتهرىء هل تخلف عن غارة جوية ؟ .
وأكوام القمامة رابضة بالأركان تحرس العشاق . صباح الخير أيها
المكدسون فى الباصات . وجوهكم تطل من وراء الزجاج المشروخ مثل
المساجين فى يوم الزيارة . والجسر المكتظ بالعابرين . السائرون على عجل
يلتهمون سندوتشات الفول بنهم وبلا تذوق . جدى قال :

ـــ اشتدى أزمة تنفرجى .

يا جدى المحبوب حتى متى نحفظ ونردد ؟ إنه صديقى الأول . ما أنا
إلا يتيم . فقدت أبوى بعد أن فقدا نفسهما فى عمل يتواصل من الصباح
حتى المساء . موزعين بين الحكومة والقطاع الخاص فى سبيل اللقمة
والضرورة . لا نلتقى إلا خطفا .

ـــ لا وقت للفلسفة من فضلك ، ألا ترى أننا لا نجد وقتا للنوم ؟!

إن صادفت إحدى أخواتى عثرة فى حياتها الزوجية ندبت أنا لإصلاح
ذات البين ! . زمن لا يجد فيه أحد عند آخر عونا . على كل أن يصارع

وحسن حظه وحده . أخيرا ها هى شركة الأغذية . إحدى شركات القطاع العام . اقرأ على مدخلها بالبنط العريض « ادخلوها بلا أمل » . ها هى محبوبتى فى إدارتنا العتيدة ، العلاقات العامة والترجمة . تغدق على ابتسامة الحب . قلت لها معاتبا :

ـــ لو انتظرت دقائق لجئنا معا .

فقالت بمرح .

ـــ لظروف كان على أن أتناول فطورى فى البرازيل .

بفضل جدى جمعتنا شركة واحدة وإدارة واحدة . أو بفضل ضابط من الضباط الأحرار كان يوما تلميذه . جدى شخصيته لا تنسى . يتذكر فضله رجل من جيل أنكر فضل السابقين . ما أكثر البنات فى إدارتنا . ها هى جيوش الأوراق تجم عملنا فى غير حاجة إلى تركيز . جدى . أعمل حينا وأسترق النظر إلى حبيبتى رندة حينا . أتذكر وأحلم وأحلم وأتذكر . قصة طويلة ترجع إلى أقدم عصور الحياة فى بيتنا القديم الفريد . لعبنا فى الطفولة واحد وعمرنا واحد . ماما تؤكد بغير دليل أنها أكبر منى . ويجىء البلوغ مصحوبا بالحياء والحذر . والرقيب يتدخل هادما المسرات . لكن الحب اقتحم فى حينه . فى المرحلة الثانوية . انهالت على السلم بين الطابقين المداعبات العابرة والعبارات الرمزية . وذات يوم دسست فى يدها رسالة اعتراف . كجواب منها أهدتنى قصة وفاء الجيلين . لما نجحنا فى الثانوية العامة فى عام واحد قلت لجدى أريد أن أخطب رندة سليمان جارتنا . جدى قال لى إنه على أيامه لم يكن يباح الكلام فى الخطبة قبل أن يستقل الشاب بحياته ولكنه وعد بمفاتحة بابا وماما فى الموضوع كما وعد بتأييدى . أمى قالت إن آل سليمان مبارك أقرب من

الأقارب ، ورندة بمنزلة بناتها ولكنها أكبر منك ! . وقال أبى إنها تماثلك فى السن إن لم تكن أكبر وتماثلك أيضا فى الفقر . أعلنت الخطبة فى يوم سعيد . وقتها كان الحلم يمكن أن يصير واقعا . منذ التحقنا بالعمل موظفين واجهتنا حقائق جديدة . ومرت أعوام ثلاثة فختمنا السادسة والعشرين . كنت عاشقا فأصبحت مرهقا عاجزا مسئولا . لا نجتمع اليوم للمناجاة ولكن لمناقشات توشك أن تلحقنا بالمجموعة الاقتصادية . الشقة .. الأثاث . أعباء الحياة المشتركة . لا حل لديها ولا حل لدى ولا نملك إلا الحب والإصرار . أعلنت الخطبة فى عهد الناصرية وواجهنا الحقيقة فى عصر الانفتاح . غرقنا فى دوامة عالم مجنون . حتى فى الهجرة لا مجال لنا . بين الفلسفة والتاريخ ضعف الطالب والمطلوب . لا لزوم لنا . ما أكثر من لا لزوم لهم . كيف حاق بنا هذا الضياع ؟ إنى مسئول مطارد تحاصره التساؤلات . وهى جميلة ومطلوبة وأنا قائم مثل السد فى طريق حظها . نظرات والديها المتعضة لا تفارقنى .. أكاد أسمع ما يقال من ورائى . فوق ذلك تهيم أحلام الإصلاح . تجىء من فوق أو من تحت . بقرارات أو بانتفاضات . معجزة العلم والإنتاج . لكن ما الحل مع ما يقال عن الفساد واللصوص ؟ ما أفظع ما تقول الدكتورة علياء سميح وما يقول محمود المحروقى . أين الصواب ؟ . لم أشك فى كل شىء ؟ . منذ تهاوى مثلى الأعلى فى ٥ يونية . كيف يجد أناس سبيلا سحريا إلى الثراء الفاحش وفى زمن لا يصدق ؟. ألا يمكن أن يحدث ذلك بلا انحراف ؟ . ما سر حرصى على الاستقامة ؟ ما أطمح فى هذه الساعة إلى أكثر مما يؤهلنى للزواج من رندة . دعينا إلى مقابلة مدير الإدارة أنور علام ، أنا ورندة . كثيرا ما ندعى معا لتعاوننا المشترك على ترجمة

اللائحة . إنه مدير لطيف المعاملة جميل الاستقبال محب للدعابة ، نحيل طويل غامق السمرة مستدير العينين ذو نظرة نافذة ، وأيضا كهل يشارف الخمسين من عمره وأعزب . وكعادته قال :

ــ أهلا بالعروسين !

وراح ينظر فى أوراقنا بسرعة وذكاء مبديا بعض الملاحظات . ورد التسويدة متسائلا .

ــ متى نفرح بكما ؟

إنى أعتبر أسلوبه فى التدخل فى الشئون الخاصة للموظفين سياسة وإن لم تصادف منى ارتياحا مثل نظرة عينيه . على أنى أحببته .

ــ مشكلتنا حتى الآن لا حل لها .

فقال باستهانة جريئة :

ــ لا مشكلة بلا حل .

فقلت كالمحتج :

ــ ولكن ..

وإذا به يقاطعنى :

ــ لا تردد أقوال العاجزين .

فملأنى الغيظ وسألته :

ــ ما الحل فى تصورك ؟

فضحك ضحكة مستفزة وقال :

ــ لا تطلب الحل عند الآخرين !

رجعت إلى مكتبى وفكرة تساورنى أنه تعمد أن يظهرنى فى صورة العاجز أمام رندة . وعشت فى غبش هذه الفكرة طيلة الوقت حتى أذن

موعد الانصراف . ولدى عودتنا معا إلى شارع النيل ملفوفين فى معطفينا قلت لها :

ــ الرجل أثار أعصابى .

فقالت وهى تحبك طوق المعطف حول عنقها السمح :

ــ وأنا كذلك .

ــ إنه سمج يدعى الظرف .

ــ هو كذلك .

ــ هل تصدقين أنه يوجد حل لمشكلتنا لم نهتد إليه بعد ؟

فتفكرت قليلا ثم قالت :

ــ أملى فى الله كبير ، نحن نفكر وكأن كل شىء سيبقى على حاله إلى الأبد !

فقلت بقلق :

ــ ولكن العمر يجرى يا رندة .

فقالت باسمة :

ــ ربما ولكن الحب ثابت !

رندة سليمان مبارك

أصعد السلم إلى الشقة ويقف هو أمام شقته كأنما ليطمئن على حتى أبلغ بابى . ودعنى بقبلة فاترة شأن المهموم بأفكاره . لعنة الله على المدير . استفزه بلا سبب . ظل طول الوقت كئيبا مغتما . أفهم ذلك جيدا ولكن ألا يثق بى ؟!. لا مساحة عندنا لمزيد من القلق . رائحة الملوخية تجول فى الشقة ما أشد استجابتى لها . أبى نائم فوق مقعده ؟ . ألثم جبينه فيختلج

جفناه . يبتسم بحنان . هزلت وضعفت لعنة الله على الروماتزم . محتشمى بك جد حبيبى أقوى منه عشر مرات رغم أنه يكبره بعشر سنوات . صوت ماما يعلن أن السفرة جاهزة . أحب الملوخية ولكن ماما لا تعجبها شهيتى . كثيرا ما تقول لى :

ــ النحيف لا يقاوم الأمراض .

فأقول لها :

ــ البدانة أيضا ضارة .

ــ عنيدة ، إن قلت يمينا قالت شمالا .

ماما بدينة وكانت كذلك من قديم . تصلى وهى قاعدة على الكنبة . من أجل ذلك يكتنفنى الحذر عند تناول الطعام . ظنت نفسها غنية بدخلها البالغ خمسة وعشرين حنيها فى الشهر . لعلها كانت على حق فى الأيام الأسطورية التى تحكى لنا ، أى قيمة اليوم لدخلها ومعاش بابا ومرتبى جميعا ؟!.

ركب أبى طاقم أسنانه الذى لا يستعمله إلا حين تناول الطعام وراح يأكل على مهل ويشكو شدة البرد . انضمت أختى المطلقة سناء التى تشاركنى حجرة نومى . إنها تدرس السكرتارية فى معهد خاص لتجد لها عملا فلا تكون عالة على أحد . بعد الغداء استلقيت على فراشى فعاودتنى ذكرى القبلة الفاترة . لا أحب هذا . إهانة أو ما يشبه ذلك . إذا تكرر ذلك فسوف أصارحه لا تقبلنى إلا وأنت تحبنى لا يشغلك شىء عن حبى . ماذا بقى لنا سوى الحب ؟ . أراعيه كأنما أنا أم وكأنما هو ابن مدلل متمرد . آه لو أمكنه أن يكون مهندسا !. كان «زمنا» من أبطال الانفتاح لا من ضحاياه . وضحية أيضا لـ ٥ يونية واختفاء البطل

المنهزم . حائر لا موقف له . حتى متى ؟. يحتقر السابقين ويؤمن بأنه خير منهم لماذا ؟. متى ينظر إلى نفسه نظرة ناقدة موضوعية ؟. لعله دورى وواجبى ولكننى أخشى على الشىء الباقى الوحيد حبنا . أحبه والحب لا عقل له . أريده بكل قوة نفسى . كيف ؟ومتى ؟أختى سناء تزوجت عن حب وقنعت بالثانوية العامة ونصيب ست البيت وشاب من ذوى الأملاك ثم لم توفق ومات الحب . الاتهامات انصبت كالعادة على الطرف الآخر ولكنها عصبية . تثور كالبركان لأتفه الأسباب فمن يحتمل ذلك ؟!. من أجل ذلك تعودت على أن أحذر الغضب كما أحذر الإفراط فى الطعام . متى تتيسر تلك السعادة الملعونة ؟! . حتى متى يصمد الجمال أمام الزمن الجارف ؟ لا ولم أعرف أننى نمت إلا بحلم رأيته . قمت عصرا .. لاطفت قطتى دقيقة .. صليت العصر والظهر معا . شكرا لماما فهى مربيتى الدينية . أما بابا ! . ماما زوجة موفقة رغم فارق السن بينها وبين بابا ورغم لا دينية بابا ! . أتذكرين محاسبتك له فى الزمان الأول ؟

ـــ بابا لم لا تصوم مثلنا ؟

يقول ضاحكا :

ـــ الصغيرة تحاسب أباها .

ـــ ألا تخاف الله ؟

ـــ الصحة يا حبيبتى . لا يغرنك مظهرى .

ـــ والصلاة يا بابا ؟

ـــ أوه .. سأحدثك عن ذلك عندما تكبرين ..

ليس كذلك الحال فى شقة حبيبى . الجد والأب والأم يصلون ويصومون . لا دينية أبى اليوم ساطعة مثل شيخوخته ومرضه . لم يتفوه

أبدا بكلمة مرئية ولكن فى السلوك ما يكفى . فى ثورات غضبة يسب الدين . ربما استغفر الله إرضاء لى أو لماما كشعار ليس إلا كسائر الشعارات الجوفاء التى تنهال علينا من أفواه المسئولين . زمن شعارات مقرز . حتى الراحل البطل لم يعف عن ترديد الشعارات . وبين الشعار والحقيقة هوة سقطنا فيها ضائعين . ولكن ما حبيبى ؟ .. متدين ؟ .. لا دينى؟.. ملتزم؟.. لا ملتزم؟ علياء سميح؟.. محمود المحروقى؟!.. آه.. إنه حبيبى وكفى ورزقى على الله. دائم البحث عن شىء مفقود . لو حلت مشكلتنا لعرف لنفسه مرفأ . ينطح الصخر ويقبض على الهواء . حجرة المعيشة تجمعنا .. أبى بمرضه وشيخوخته وإلحاده ، ماما وبدانتها المفرطة وهموم الآخرين ، سناء وضيقها بوضعها وشعورها الأليم بالعربة ، أنا ومشكلتى المزمنة . فى الظاهر والداى قد أتما رسالتهما فأى سخرية . ها هو التحقيق الصامت يحاصرنى . ماذا بعد خطبة طالت أحد عشر عاما ؟ . ألا يوجد بصيص أمل ؟.

تقول سناء بصوتها الرفيع الحاد :

ــ لتنتظر حتى تترمل وهى مخطوبة !

فأقول لها بصرامة :

ــ لا شأن لك بى .

فتقول ماما :

ــ ذكريه يا رندة كى لا ينسى .

ــ نحن نعيش همومنا كل دقيقة فلا داعى للتذكير .

ثم بمزيد من الحدة :

ــ إنى رشيدة ، اخترت سبيلى بملء حريتى ، ولن أندم على شىء .

ويقول أبى بضجر :

ــ رندة رشيدة ومسئولة عن نفسها .

فتقول ماما بحسرة :

ــ كم من عرسان لقطة فقدناهم .

فأقول بكبرياء :

ــ لست جارية معروضة فى السوق للبيع !

ــ أنا أمك ، فوق أى شبهة ، تزوجت بالطريقة القديمة ووفقت والحمد لله .

ــ يا ماما لكل جيل طريقته ، وجيلنا فاق الجميع فى سوء حظه .

فيقول أبى باسما :

ــ جاء عصر أكل الناس فيه الكلاب والقطط والحمير والأطفال ثم أكل بعضهم البعض !

فقلت بمرارة :

ــ لعلنا أسعد من عصر آكلى البشر ..

وهتف أبى مغيرا الجو :

ــ حسبكم .. المسلسل التليفزيونى بدأ ..

انتزعتنى المقدمة الموسيقية التى أحبها من الصراع . بقوتها الانسيابية دعت حبيبى فهبط من الغيب وجلس إلى جانبى . انقلبت فجأة إلى أنثى حالمة شديدة الفهم للحياة الزوجية . وطاردت دمعة خائنة أوشكت أن تفضحنى . هل تقبل الدنيا بدونه ؟

وقالت ماما :

ــ يا بخت أبطال المسلسلات ! .. فما أسرع أن يجدوا لمشكلاتهم الحل السعيد !

محتشمي زايد

فى وحدتى أنتظر . أحبك الروب حول جسدى النحيل وأسوى الطاقية فوق رأسى الأصلع ، أربت على شاربى وفى وحدتى أنتظر . ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ . جرس الباب يرن . أفتح الباب فتدخل أم على . فى معطف سنجابى والخمار الأبيض يحدق بوجهها القمحى الريان .

ـــ كيف حالك يا بك ؟

ـــ نحمده يا أم على .

ـــ الشتاء لا يريد أن يرحم .

وكامرأة يوزن وقتها بالنقود خلعت المعطف وعلقته بمشجب قائم غير بعيد من الباب ثم مضت إلى حجرة نوم فواز وهناء . تبعتها كما نبه على . جلست على مقعد أتابعها وهى تكنس وتنفض وتنظف وتلمع وترتب . نشيطة خفيفة رغم امتلائها . يخافون أن تمتد يدها إلى شىء . سوء ظن لا مبرر له وهو من رواسب الماضى . أم على ساعتها بجنيه وتنتقل من بيت إلى بيت كالنحلة فإيرادها يزيد عن مرتباتنا جميعا مجتمعة ، ولكنى أرتاح إلى الانفراد بها . نزهة أسبوعية تنفخ فى وجدانى نغمة الحلم الغابر . الانفراد بها يتجسد فى حال يضطرب لها روتين الزمن . ويواجه الأنا القديم الأنا الطارىء فيتناجيان وبينهما فاصل الزمن بلغتين غريبتين لا تفضيان إلى تفاهم ثم يستعير القلب من مخزونه البائد خفقة خاطفة تعيش حياة مقدارها ثلاثون ثانية . وعندما ما تنحنى لتعيد بسط الكليم أتصور أن

أقرصها بحنان ، مجرد تصور ، فإننى مسيطر على زمامى تماما وهى مطمئنة من ناحيتى تماما . كأنها رجل فى النشاط والقوة وتماسك الشخصية . ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ . وأسألها متمرغا فى انفرادى بها :

ـ كيف حال المعلم ؟

ـ ربنا يلطف به .

ـ والأولاد ؟

ـ هاجروا ، لم يبق إلا العبيط .

وتضحك ثم بدورها تسألنى :

ـ ما آخر أخبار صاحب عمارتكم ؟

ـ يئس وسكت .

ـ من كان يصدق أن الأرض تجن مثل بنى آدم ؟!

ـ الجنون أصل كل شىء يا أم على ..

ما أشد شعورى بالانفراد بك . حوالينا ولا علينا يا رب ، كأيام شارع خيرت المسقوف بالشجر ، وتحت مظلة من الأفكار الحرة المستوردة ، فكرية ورتيبة المرضتان وشقاوة الغجر . الحياة فصول ولكل فصل مذاقه وطوبى لمن أحب الدنيا بما هى دنيا الله . فى زيارة لسليمان مبارك أبى رندة قال لى :

ـ أغبطك على صحتك يا محتشمى .

فقلت بثقة :

ـ الوراثة والإيمان يا عم سليمان .

فتساءل وهو ينظر نحوى بخبث :

ـــ كيف أصدق أن مثلك يؤمن بالخزعبلات ؟
ـــ الله يهدى من يشاء .
ـــ كأنك فى ماض ما ، ما كنت ملحدا .
فقلت باسما :
ـــ إيمان موروث ، شك ، إلحاد ، عقلانية ، لا أدرية ، ثم إيمان !
فتساءل ساخرا :
ـــ بوفية مفتوح ؟!
ـــ هى الحياة الكاملة ..
ـــ إنى فخور بثباتى ، راض بالعدم ، عاند للحقيقة ، وقد أوصيت زينب إذا جاء الأجل ألا ينشر نعى ولا تكون جنازة ولا مأتم ولا حداد !
ـــ ما هو إلا نور يهبط فجأة فيبدد الظلمات .
ـــ المسألة أن العمر تقدم بك حتى لاح لك الموت ..
حوار عقيم ، ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ . صديقى يعيش فى كون خال وأعيش فى كون آهل بالأحباب . أستغفر الله . يا لها من زيارة زيارة أم على . ماذا يفعل المسكين علوان ؟. محرومون وسط سيرك من اللصوص . أحدثه عن زمانى لعله . رمى ببهلوان يطلق فى العطسة عشرة شعارات عقيمة . أم على تنتهى من عملها . تغسل اليدين والوجه وترتدى معطفها السنجابى وتنظر فى ساعة يدها لتعرف مستحقاتها . أسلمها النقود فتذهب قائلة :
ـــ فتك بعافية يا بك .
ـــ مع السلامة يا أم على ، لا تنسى الميعاد القادم .

وتعود الوحدة . أتمشى فى الشقة بعد تعذر المشى فى الشارع . القرآن والأغانى . طوبى لكم يا من اخترعتم الراديو والتليفزيون . بامية ومكرونة الغداء . حبب الله إلى العبادة وجعل قرة عينى فى الطعام . أى وحدة والكون من حولى مكتظ بملايين من الأرواح ؟. أحب الحياة وأرحب بالموت فى حينه . كم من تلميذ قديم لى قد صار اليوم وزيرا . لا رهبانية فى الإسلام . ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها . كثيرا ما أحادث حفيدى المحبوب عن الماضى لعله من حيرته يخرج . أغريه بالقراءة وقليلا ما يقرأ ، ويستمع إلى بدهشة من يعز التصديق عليه . دعنا من علياء سميح ومحمود المحروقى ، ألم تحملك الأحداث على الإيمان بالوطن والديموقراطية ؟. وما معنى الإصرار على التمسك ببطل منهزم راحل ؟!. كيلا تصبح الدنيا فراغا يا جدى . إنى ألفت نظرك إلى أشياء غاية فى الجمال . يضحك ويقولى لى :

ــ ما أريد الآن إلا شقة ومهرا مناسبا !

كيف أستطيع تجنب هموم الدنيا ومعى حفيدى المحبوب ؟!. ما أجمل كرامات الأولياء .

علوان فواز محتشمى

علمنى زمنى أن أفكر . علمنى أيضا أن أستبين بكل شىء وأن أشك فى كل شىء . ربما قرأت عن مشروع منعش للآمال وسرعان ما يكشف المفسرون عن حقيقته فلا يتمخض عن أكثر من لعبة قذرة . هل تترك السفينة للغرق ؟! . هى عصابة مسلطة علينا لا أكثر ولا أقل ؟! . أين الأيام الحلوة ؟ . كانت توجد أيام حلوة لا شك فى ذلك . ولى أنا أيضا أيام . حين كانت الشقة عامرة بالأخوات والدفء وكانت الأعباء يسيرة . كان لأبى وأمى وجود فى البيت . وكان يوجد حوار وضحك وحماس الدراسة وسطوة البطولة . إحنا الشعب . اخترناك من قلب الشعب . والحب كان باقة من الورد فى قرطاس من الأمل . فقدنا رعيمنا الأول ومطربنا الأول . ويخرجنا من الهزيمة زعيم مضاد فيفسد علينا لذة النصر . نصر مقابل هزيمتين . اخترناك من قلب الشعب . وتجذب حبيبتى الشص من الماء فتخرج فارغة وتنغرز فى إبهامى وتترك أثرا ما زال باقيا حتى اليوم . على شاطئ النيل أمام بيتنا قلت لها إنك لا تحسنين صيد السمك ولكنك اصطدت قلبى وأسلت دمى . من الأخوة إلى الحب حدث تغير بطىء مثل قرون أوراق الشجر التى تسبق بالظهور فى أوائل الربيع ولا ترى إلا عند التأمل . أنوثة وتورد الخدين ووشاية أعلى الفستان . باللغة حين تقول الكلمة شيئا وتشير إلى شىء آخر وتلاشت البراءة وحلت محلها مفاوضات وتوسلات من أجل لثمة فوق الخد أو الشفة . أطيب ثمرة فى الشجرة أخلاق وعقل وجمال . يضايقنى أحيانا أن تبدو أعقل منى . لا أنسى حزن نظرتها عندما اعترفت لها بعجزى عن اختيار القسم العلمى . حوار طويل لم يجر على

لسانا ولكنه يتربص بنا فى زاوية ما . أسرتانا سقطتا معا فى حفرة الانفتاح . شد ما يحزننى ألا تظهرى فى الملابس اللائقة بجمالك . أى مسئولية تثقل كاهلى . قلت لها مرة فى استراحة الهرم :

ـــ فلنتسل بحصر أعدائنا .

فدخلت اللعبة قائلة :

ـــ غول الانفتاح واللصوص الأماثل ..

ـــ هل ينفعنا قتل مليون ؟

فقالت ضاحكة :

ـــ قد ينفعنا قتل واحد فقط !

فقلت ضاحكا أيضا :

ـــ إنك اليوم رندة المحروقى ..

* * *

أنور علام المدير يستدعينى إلى حجرته ويطلب إلى أن أزوره فى مسكنه فى الخامسة مساء لإجراء مراجعة شاملة قبل إعداد الحساب الختامى . أخبرت رندة فلم تعلق . مسكنه فى عمارة نصف جديدة بالدقى تقع أمام أحد مداخل جسر ٦ أكتوبر . استقبلنى ببشاشة وهو مرتد بدلته وقال :

ـــ لا تغرقك فخامة الشقة فأختى تعيش معى وهى أرملة غنية ..

كأنما ينفى عن نفسه الشبهات . كل فرد مهدد اليوم بالشبهات . وعملنا بهمة حتى الساعة الثامنة . فى أثناء ذلك دخلت الأرملة بالشاى تعارف بيننا وقدمها قائلا « جولستان أختى » . من النظرة الأولى شعرت بأننى أمام امرأة يقع عمرها ما بين الأربعين والخمسين ، مقبولة المنظر ،

ممتلئة فى تكوين حسن ، مثيرة رغم رزانتها واحتشامها أو ربما لرزانتها واحتشامها . لم تجلس وقالت وهى تغادرنا :

ــ استبق الأستاذ للعشاء معنا .

فقال أنور علام :

ــ هذا أمر !

أعدت لنا مائدة من الشواء والسلطات المتنوعة والجبن والزيتون ثم مهلبية وتفاح . وسمعت أنور علام يقول ونحن نتناول عشاءنا :

ــ أنا وكيل أعمالها فقد ورثت عن زوجها عمارتين وشهادات استثمار .

لفت نظرى تعريفه لى بأملاكها فسرحت فى أكثر من ظن . وراح يحكى لها عن مشكلة خطبتى بإشفاق .

ــ هذه حال جيل بأسره .

فقال الرجل :

ــ ومما يزيد المشكلة تعقيدا أن علوان من أصحاب المبادئ !

فقالت بإعجاب :

ــ جميل أن أسمع ذلك ، الأخلاق أهم شيء فى الدنيا .

نبرتها لا تدع مجالا للشك فى صدقها . وإنى أجدها مثيرة للغاية . وإنى مخزن بارود عند أى إثارة . معاناتى فى هذه الناحية تستحق الرثاء . وقال أنور :

ــ أختى كاملة فى كل شيء إلا شيئا واحدا لا أوافقها عليه هو إعراضها عن أكثر من فرصة زواج طيب ..

فقالت بهدوء :

ــ لست سلعة وليسوا رجالا ..

فقال أنور علام :

ــ ثراء المرأة قيمة مشروعة ولا عيب على الرجل إذا أولاها ما تستحقه بالإضافة إلى المزايا الأخرى .

فقالت السيدة جولستان :

ــ لا رجل جدير بالثقة فى هذا الزمان .

وملت إلى تغيير مجرى الحديث فسألت مديرى :

ــ معذرة يا سيدى لِمَ لم تتزوج حتى اليوم ؟!

فقال بغموض :

ــ أسباب كثيرة .

ولم يذكر سببا واحدا فقالت جولستان :

ــ إنه مخطئ ، وهو قادر على الزواج .

وراح يسألنى عن أسرتى وأسرة رندة وأنا أجيبه بصدق وإيجاز حتى قال :

ــ رندة فتاة ممتازة ولكن الزمن يسرقها .

طعنة وأى طعنة !. مقصودة أم جاءت عفو الخاطر ؟!.

على أى حال أفسدت على السهرة . ولم يخفف من حدتها قول جولستان :

ــ الحب هو العمر الحقيقى ..

وغادرت المسكن مشحونا بالسخط على الرجل والإثارة من ناحية شقيقته ..

رندة سليمان مبارك

اعتمدت رسائلى المترجمة من المدير ولم يبق إلا أن أذهب ولكنه مال بكرسيه المتحرك إلى الوراء وقال لى :

ـــ آنسة رندة ، عندى حكاية تهمك .

ماذا عنده يا ترى ؟ ..

قال :

ـــ هى طبيبة شابة ، كانت مخطوبة لطبيب زميل لأعوام ، يئسا من الزواج ، فسخا خطبتهما ، تزوجت من تاجر فى وكالة البلح ووافقت على رغبته على البقاء فى البيت كست بيت ..

دهشت واستأت ولكنى سألته بهدوء :

ـــ لماذا تتصور أن هذه الحكاية تهمنى ؟

فسألنى متجاهلا سؤالى :

ـــ ما رأيك فى تلك الطبيبة ؟

فقلت بشىء من الجفاء :

ـــ لا أستطيع أن أحكم على واحدة لا أعرف ظروفها .

فقال بهدوء :

ـــ أنا أعتبرها عاقلة ، فست البيت خير من طبيبة عانس !

غادرته بوجه لا أشك فى أنه عالنه باستيائى . له نظرات طامعة

لا يمكن تجاهلها . والحق أنه يشكل عبئا علينا . أنا وعلوان . فى صباح الجمعة التالى لزيارته لبيت المدير ذهبنا إلى استراحة الهرم . الجو بارد حقا ولكن الشمس ساطعة ، ونحن ننظر من عل إلى المدينة التى تبدو عظيمة هادئة مترامية كأنما خالية من الهموم والقاذورات . وسألته ونحن نحتسى الشاى :

ــ كيف كانت زيارتك للبك المدير ؟

فأعادها على بتفاصيلها ، حتى أفسدت على جلستى الحلوة . قلت :

ــ يبدو أنها لم تكن زيارة عمل !

ــ بل عملنا ثلاث ساعات متتابعة .

فقلت بتحد :

ــ أنت فاهم قصدى ..

فقال بسخط :

ــ إنه شخص مثير للأعصاب ..

ــ وأخته ؟!

ــ عاقلة متزنة احترمتها كأم ..

فضحكت ضحكة باردة وتساءلت :

ــ وهل عاملتك كابن ؟

فتساءل محتجا :

ــ تحقيق واتهام يا رندة ؟

فقلت بسرعة :

ــ لا سمح الله .

ورويت له ما دار بينى وبينه فى مكتبه فقطب غاضبا وهتف :

ـــ سأطالبه بألا يتدخل فيما لا يعنيه .

فقلت بتوسل :

ـــ الأفضل أن تهمله كى لا تسوء العلاقة بينك وبين مديرك .

فقال بامتعاض :

ـــ المسألة أن موقفى منك ضعيف لا أدرى كيف أدافع عنه ..

فقلت بلطف :

ـــ لست متهما ولا أطالبك بدفاع .

ـــ إنى مسئول وحزين .

ـــ لا حيلة لنا .

ـــ لكنه وغد ويعد خطة ..

ـــ أهمله مع حقارته .

وصمتنا قليلا هاربين إلى رحمة الطبيعة حولنا حتى جاءنى صوته متشكيا :

ـــ كأننا نسينا حديث الحب ..

فقلت مدارية حزنى :

ـــ لسنا فى حاجة إلى مزيد منه .

فقال وهو يرمقنى بامتنان :

ـــ أحبك .

فقلت وأنا فى غاية من التأثر :

ـــ أحبك .

فتساءل فى حيرة :

ـــ ترى ما المغامرة الشريفة التى تدر علينا ما نحن فى حاجة إليه من

مال ؟

فقلت باسمة :

ـــ ألا تملك موهبة الفتى الأول فى السينما ؟

ـــ وأنت ألم تجربى صوتك ولو فى الحمام ؟

وضحكنا رغم همنا المشترك ، وقال :

ـــ ليست المشكلة تحسين مرتب ولكنها مشكلة الخلو والأثاث أيضا .

ثم واصل بعد صمت قليل :

ـــ المحروق تزوج بكل بساطة ، ولكنه يعيش فى مخيم مع طائفته .

تخيلت المخيم وحياته . كأنه خيال لا حقيقة . رغم ذلك هفا فؤادى إليه . خيمة بسيطة ولكن يخفق بين جوانحها الحب . وفاض من قلبى نبع حنان متدفق . وقال بصوت دلنى على أنه يشاركنى أشواقى :

ـــ شد ما أريدك أكثر من أى شىء فى الوجود .

انضباطى خلقة مركبة فى أعماقى منذ الصغر . حوارى مع رغباتى الجامحة دائما ينتصر . لم تؤثر فى تجارب شاهدتها عن كثب . حافظت على تصورى الوقور لمعنى الحرية . لم أتزعزع للتهم الساخرة المألوفة بالانغلاق والرجعية . ولم أبرأ من الحزن .

محتشمي زايد

ليلة أمس رأيت فيما يرى النائم سيدى أبا ذر . العبادة تغدق على شفافية وهابة للرؤى . لحبى الدنيا أقف عند ذاك الخط لا أتجاوزه . وترد على خاطرى هذه الحكاية « قال محمد بن العطار ، قال لى الشيخ محمد راهين يوما : كيف قلبك ؟ فقلت له : لا أعرف كيفيته ، وذكرت ذلك لسيدنا شاه نقشبند وكان واقفا فوضع قدمه على قدمى فغبت عن نفسى فرأيت جميع الموجودات مطوية فى قلبى ، فلما أفقت قال : إذا كان القلب هكذا فكيف يتسنى لأحد إدراكه ؟ ، ولهذا قال فى الحديث القدسى : ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن . ترد على خاطرى تلك الحكاية فأغبط الأولياء وأتوق إلى الكرامات ولكنى أقف عند حافة بحر التصوف مستمسكا بالعبادة قانعا بها فى أحضان دنيا الله . وقد يرتد بصرى المتأمل الهادئ بنور من الوهاب . لا ، ولا أندم على مراحل الحياة التى مررت بها فقد منحت كل مرحلة نورها . أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا . ويدق جرس الباب عند الضحى . من القادم وليس اليوم يوم أم على ؟ . وأفتح الباب فتدخل زينب هانم أم رندة . أستقبلها بترحاب وأنا أعجب لبدانتها رغم الضائقة . وتجلس فى حجرة المعيشة وأسكت الراديو فتقول :

ـــ لا أحد لى غيرك يا محتشمى بك .

فقلت وأنا أسائل نفسى عما جاء بها :

ـــ لنا الله جميعا ..

ـــ فواز بك وهناء هانم أولى بالحديث ولكن العمل المتواصل لم يترك لهما فراغا ، ولا فائدة ترجى من مخاطبة علوان ، ففيك الكفاية والبركة .

آه ، فهمت كل شيء مقدما ، إنها قادمة من أجل مشكلة علوان ورندة .

ـــ إنى مصغ إليك يا زينب هانم .

ـــ عندك حسن التقدير ، البنت يا محتشمى بك على وشك الضياع .

ـــ لا سمح الله .

ـــ إنكم لدينا المفضلون على غيركم ولكن حتى متى ننتظر ؟

شعرت بالخطر الزاحف نحو حفيدى المحبوب فتساءلت :

ـــ زينب هانم ، أليست رندة رشيدة ومثقفة وتميز بين ما ينفعها وما يضرها ؟

ـــ الحب يضل يا محتشمى بك ، أصبح الحب فى هذه الأيام إلٰهها . هل تزوجت أنت عن حب يا محتشمى بك ؟ ، هل تزوج فواز بك عن حب ؟

ـــ ولكنهما يؤمنان به .

ـــ ونتركهما حتى يدمرهما معا ؟

وتنهدت بصوت مسموع شأن العاجز فقالت ولغدها يتحرك :

ـــ فلنبذل جهدا للإنقاذ وليفعل الله ما يشاء ، ربما وجد كلاهما ما يناسبه .

ـــ أهذا رأى سليمان بك أيضا ؟

ـــ إنه أبوها كما إننى أمها ، وما يحزننا إلا أن علوان فتى طيب وجدير

بكل خير ..

وتمتمت وأنا أختم الحديث :

ـــ وسيىء الحظ أيضا .

فذهبت وهى تقول :

ـــ اعتمادى بعد الله عليك .

يا له من صباح ! قضى على أن أكون وسيط السوء إلى أعز الناس على قلبى . انكمشت فى مقعدى متلفعا بالكآبة . وفى أثناء الغداء لم أشر إلى الزيارة حتى انفردت بالشاب عصرا فى حجرة المعيشة . لم ينتبه بطبيعة الحال إلى معنى نظراتى حتى سألته :

ـــ هل تغفر لى حديثا غير سار ؟

فرمانى بنظرة متوجسة وقال ساخرا :

ـــ هذا هو الأصل فى الأحاديث يا جدى .

ـــ عن رندة يا علوان .

فتغير وجهه الحسن وغشيه الحب فعرضت الموضوع بتفاصيله . كور قبضته وألصقها بفيه معتمدا بكوعه على خوان قديم وقال :

ـــ كأننى مجرم مطارد يا جدى .

ـــ يجب أن نفكر بهدوء وشجاعة .

ـــ أريد أن أعرف انطباعك يا جدى .

فازددت ضيقا وأنا أقول :

ـــ لهم عذرهم ، هذا ما يجب أن نسلم به .

فقال بحدة :

ـــ رندة ليست قاصرا .

ـــ بلى ، ولكن الانتظار يبدو بلا نهاية .

ــــ أنا لم أقصر .

ــــ لا أحد يتهمك .

ــــ الرأى الأخير لهم أم لها ؟

ــــ الآن هو بين يديك أنت .

ــــ أنا ؟

ــــ العمر يجرى ، وأنت فتى عاقل ، بيدك إنقاذهـا ، وربما إنقـاذ نفسك أيضا .. إنه ليس مجرد سوء حظ . إنه خط طويل من المآسى ٥٠ يونيـة والانفتـاح وروسيـا والولايـات المتحـدة ومملكـة المنحـرفين .

وتساءل :

ــــ ولو أصررت على الرفض ؟

فقلت بتسليم :

ــــ افعل ما تراه صوابا ..

فهز رأسه قائلا فى غموض .

ــــ أعدك بذلك يا جدى .

وعلم فواز وهناء بالموضـوع مساء . وانفعلت هناء غاضبة وقالت إن قلبها لم يوافق على الخطبة إلا مضطرا . أما فواز فقال إنه طالما حذر ابنه من هذه النهاية المحتومة . وقال :

ــــ الخطبة تعرقل الاثنين .

وقالت هناء تخاطبنى :

ــــ أقنعه يا عمى ، إنه يعاندنا ولكنه يقتنع بك ، لو سمع كلامى من أول الأمر ما انتهى بنا الأمر إلى هذه الخاتمة المهينة !

وجالت بنفسى الآية الكريمة ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم

عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾

علوان فواز محتشمى

لم يبق من الشتاء شىء والجو ينعم بصفاء نادر . السوء كله كامن فى وحدى . كان يجب أن أختار مكانا آخر غير استراحة الهرم . هذا الموقع عند حافة الهضبة سجل لنا أجمل الذكريات . هدوء نظرة عينيها ضاعف من إحساسي بالذنب . لا يوجد شخص يستحق الاحترام ولا فعل يستحق الثقة ولا وعد يستحق التصديق . ذلك التاريخ المنحدر ما بين العندليب الأسمر والغراب الأسمر فلتكف الدكتورة عن إلقاء الشعارات فهى زوجة وأم وشربت العشق حتى الثمالة فلنحتس الشاى فى هناء ، أو لتهنأ به وحدها ، أما أذوق له طعما .

ــ أعوذ بالله من صمتك !

فرنوت إلى هامات النخيل المنثور فوق المنحدر وسألتها :

ــ رندة ، هل علمت بزيارة مامتك لجدى ؟

فقالت باستهانة :

ــ لم تمر بسلام ولكن لا جديد تحت الشمس ..

فقلت بأسى :

ــ لو صح ذلك لتزوجنا منذ سنوات .

ــ أراك متأثرا أكثر مما توقعت .

ــ اختنقت الأنفاس .

ـــ اعتدنا أن نصمد حيال المعارضة .

ـــ حتى متى ؟

ـــ لا أهمية للوقت .

ـــ الوقت مهم أردنا أم لم نرد ، ومسئوليتى ثقيلة .

فقالت بحزم :

ـــ لست معفاة من المسئولية ، إنى مثلك تماما .

ـــ لا مفر من التسليم بأنى أهدر مستقبلك .

ـــ ومستقبلك أنت ؟

ـــ الأمر يختلف وقد يتزوج الرجل فى الخمسين .

شحب وجهها وهى تتمتم :

ـــ لأول مرة أجدك منهزما يا علوان .

فقلت بعد تردد :

ـــ ربما لأننى أنتصر على أنانيتى لأول مرة !

فهتفت بفزع :

ـــ رباه .. أتفكر حقا فى ..

وأشفقت من إتمام جملتها فقلت وأنا أمرق من جرحى :

ـــ إنى أحررك من قيدى .

قالت بانفعال شديد :

ـــ علوان .. لا أطيق سماع ذلك .

ـــ أعيدى التفكير فى موقفك بعيدا عن ظلى الثقيل ..

ـــ إنى حرة ولا سلطان لأحد على ..

ـــ الأمر يتطلب إعادة نظر .

فتفكرت فى وجوم ثم قالت :

ـــ إنه منطق سليم ولكننى أشك فى سلامته فى ظل حب حقيقى ..

فقلت بسرعة وحرارة :

ـــ حذار من الشك فى ، لا تزيدى الموقف سوءا ، فالحب أيضا هو التضحية ..

ـــ لا حاجة لك إلى التضحية ..

ـــ إنى أقرر ما أراه صوابا .

فقالت بمرارة :

ـــ قل إنك أصبحت تجدنى عقبة فى سبيلك .

ـــ سامحك الله يا رندة ، لن أدافع عن نفسى ..

ـــ إننى أرفض تضحيتك .

فقلت بوضوح :

ـــ وأنا مصر عليها .

وفصل بيننا صمت أثقل من الليل الزاحف . انسحب كلانا إلى داخل ذاته . وباعد اليأس ما بيننا إلى ما لا نهاية حتى فقد مجلسنا أى معنى . وقامت متثاقلة وهى تقول :

ـــ لا وجه لبقائى هنا .

فقمت ضامر الحيوية . كأننا عريان سيذهب كل إلى وطنه . ولا شىء أقوى من الحب إلا الألم . تخايلت لعينى الوحدة المتربصة بى فى نهاية الطريق . وطوال الطريق لم نتبادل كلمة . ولا تحية عند الفراق داخل العمارة القديمة . وجدت والدى فى حجرتهما وجدى وحيدا أمام التليفزيون جلست على مقربة منه فنظر نحوى بتوجس واستطلاع ثم قال

وكأنما يهرب من أفكاره :

ـــ فيلم عن امرأة مجنونة ، لم أحبه ..

فجاريته متسائلا :

ـــ ولم ترى ما لا تحب ؟

ـــ فى القناة الأخرى خطبة .

ـــ ولم لا تغلقه ؟

ـــ هو خير من لا شىء .

فقلت :

ـــ الخطبة فسخت !

وجم وتجلى فى عينيه الخابيتين الهم ثم غمغم :

ـــ أعانك الله على بلواك !

فقلت بجفاء :

ـــ فسخت وانتهى الأمر .

فقال بأسى :

ـــ لدى شعور بالذنب .

فقلت بصوت بارد :

ـــ لا ذنب لك يا جدى .

رندة سليمان مبارك

رأيت صورة وجهى معكوسة فى نظرة أمى التى استقبلتنى بها . ها هى تدارى عينيها فى إشفاق وما يشبه الخوف . قلت لها على مسمع من أبى :

ـــ هنيئا لك ، نجح مسعاك .

فغرقت أكثر فى الصمت حتى اغرورقت عيناها ، وإذا بأبى يقول :

ـــ إنى مطمئن إلى رجاحة عقلك .

فقلت محتجة :

ـــ بابا .. من فضلك لا تعاملنى كطفلة ..

فقال بهدوء :

ـــ لن تندمى ، وسوف أذكرك بذلك فى يوم قريب .

ونطقت أمى لأول مرة قالت :

ـــ أنت مؤمنة ولا خوف على مؤمن .

وقال أبى :

ـــ أمك لم تخطئ يا رندة !

ولكنها دنيا جديدة تماما التى على أن أعايشها منذ الساعة . دنيا لا يوجد بها أثر لعلوان . دنيا على القلب أن يصبر عليها حتى يجيئه الفرج بموته . ودهمنى شعور قاس بتقدم سنى وأننى أطرق أبواب العنوس برجاء خائب . وتبدت لى حجرة نومى قديمة بالية بسريريها العتيقين وصوانها المقشر وسجادتها الجرداء التى لم يبق من رسومها إلا خيال . حتى سناء

أختى باتت مضجرة مؤذية وهى تقول لى ببرود :

ـــ إنك تستحقين التهنئة .

وثار غضبى على علوان . أثبت أنه أضعف مما تصورت . وأنه خليق أن يبقى حائرا بلا مرفأ إلى الأبد . بل لعله سرعان ما ينحرف . أو يبيع نفسه لامرأة مثل جولستان . الحقيقة أنه ضاق بحمل المسئولية . إنه يهرب من عجزه . وفى ظنه أنه لن يرمى بعد اليوم بالعجز عن الزواج . وقلت لنفسى إننى يجب أن أسعد بالتحرر منه . إننى أخف مما كنت فى أى يوم مضى . هجرنى وخاننى . من غيره يسأل عن تعاستى ذات الأنياب الحادة . يجب أن أهنىء نفسى على التحرر منه . من الآن فصاعدا أستطيع أن أزن الأمور بعقل غير مشلول بقيود القلب . أنا حرة .. أنا حرة .. حسبى ذلك . ماذا كان يعنى أنور علام بقوله ؟ يا للتعاسة التى تتمطى بلا حدود . هل يشفى الزمن حقا من الحب ؟ متى وكيف عليه اللعنة . سأضاعف له الازدراء كلما ضاعف لى الذل . والداى يمعنان فى الهرب حتى ينظما صفوفهما . أول النصر هزيمة ثم ينتصر . هرب وتحررت . احملى ألمك بشجاعة حتى يتبخر . انتظرت حضوره فى الإدارة صباحا مصممة على لقائه كزميل وكأن شيئا لم يكن تماديا فى إعلان اللامبالاة . لكننى لم أستطع . لم أنظر نحوه ففضحت تعاستى . ترى كيف بات ليلته ؟ شاركنى العذاب أم غط فى نوم الراحة والحرية ؟ وكان لا بد للسر أن ينكشف فعرف فى الإدارة وأحدث فى الظاهر على الأقل وجوما . لم يعلق أحد بكلمة . لعل المفلسين قد سعدوا فالتعساء يتعزون بالتعساء . ولما جاء دورى للمثول بين يدى مدير الإدارة أنور بدا علام أول الأمر جادا أكثر من المألوف . ولكنه قبل أن يأذن لى فى الانصراف قال :

علمت وأسفت !

فلذت بالصمت فقال :

ـــ لكنها نهاية محتومة ، وفى تقديرى أنها جاءت متأخرة .

ثم بنبرة أقوى :

ـــ مثلك لا يصلح لها أن تعلق مستقبلها بوعد مجهول كأنك لا تدركين قيمتك الحقيقية .

ولم أنبس بكلمة فقال :

ـــ عندما قلت يوما إن لكل مشكلة حلا كنت أفكر فى هذه النهاية وإن يكن كل وجود إلى زوال فالحزن لن يشذ عن هذه القاعدة ! .

ثم قال وهو يعيد إلى الإضبارة .

ـــ نصيحتى يا آنسة رندة أن تتذكرى دائما أننا فى عصر العقل وأن تعتمدى عليه كل الاعتماد فكل ما عداه باطل .. باطل .. باطل ..

وطوال حديثه تصفحنى بنظرات جريئة لم يعد يخفف منها الحاجز الذى كان قائما . لم يخف نفورى منه ولم يزدد ولكننى لم أعد أجده ظاهرة شاذة . وفى المساء قال لى أبى :

ـــ أود أن أصارحك يا رندة بأنه لو كان كامل الإخلاص لما تخلى عنك أبدا .

بابا ساخر يسىء الظن بالبشر ودأبه التنقيب وراء كل فعل حسن حتى يعثر له على تفسير قبيح . ورغم أننى ملت لتصديقه إلا أننى قلت :

ـــ لأنه لم يعد يحتمل المزيد من اللوم فقد أقدم على تضحية أليمة . إنى أعرفه خيرا منك يا بابا .

فقال باسما :

ــ أتنبأ لك بخاتمة سعيدة .

ولما لم أعلق بكلمة قال :

ــ ما دمنا قد تحررنا من الحب فلنكل مصيرنا للعقل ، وفى هذه الحال لا غضاضة من الاستماع لرأى الآخرين .

فقلت باستياء :

ــ إنه أمر يعنينى وحدى .

ــ بل يعنينا جميعا .

واأسفاه ! علوان يمعن فى البعد وها نحن نتحدث عن حياة جديدة .

محتشمى زايد

الحمد لله . كل شىء طيب لولا حزن علوان . ربيع هذا العام لطيف نادر الخماسين فمتى يسلو علوان وينسى . الحمد لله . فاليوم يمضى بين العبادة والتلاوة والطعام والأغانى والأفلام . عند الثمانين نتوقع قدوم ضيف لا ريب فيه فاللهم حسن الختام . اللهم جنبنا العجز والأوجاع وانشر ندى رحمتك فى أركان هذا البيت القويم . ودنيا الله جميلة خليقة بكل حب فأى روح شريرة قد حلت بها . السماء والنيل والأشجار وأسراب الحمام وهذا الصوت المليح ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ لو تركت وشيخوختى لكنت سعيدا ولكنى لا أترك فى

سلام . سقيا لعهد الإيمان الساذج كما تذكره الذاكرة ، وعهد الشك ومنازعاته ما أثراها بفتنة اليقظة ، وعهد الإلحاد وتحدياته وغناها بالشجاعة والاقتحام ، وعهد العقل وحواره الدائم ، وأخيرا عهد الإيمان والأمل . أصبح الموت آخر المغامرات الواعدة . مناجاته تهون حمل الأعباء على الحامل . سيجىء فى ساعة ما سافرا عن وجهه وسوف أقول له بكل مودة اقطف الثمرة وهى فى تمام نضجها . يوما كنت أحدث علوان عن المسلسل التليفزيونى الجديد فقال لى :

ــ جدى ، أهنئك على راحة بالك .

أزعجنى قوله فقلت له :

ــ فى صوتك احتجاج يا علوان .

فضحك فى حياء ولم ينبس فقلت :

ــ توجد مرحلة أخيرة اسمها الشيخوخة ، إنى أمد يدى لأقبض على حلقة الثمانين فى مرق الجيل فمن حقى أن أركز على خلاصى تاركا هموم وطنى لبنيه . وقد قمت بالتزاماتى فى حينها على قدر استطاعتى . وحاولت جهدى على حملك على الالتزام ومازلت أحذرك عواقب الشيخوخة المبكرة ، إن قاموسك لا يحوى إلا بطلا شهيدا واحدا . قضيت فترة متلقيا مسحورا ، وتقضى الأخرى متحسرا حائرا ، أقل ما أقوله عن نفسى إنى شهدت من تلاميذى ثلاثة من الوزراء !

فتساءل ضاحكا :

ــ أتعد ذلك من حسناتك يا جدى ؟

فما تمالكت من الضحك عاليا وقلت :

ــ إن تكن الأخرى فلندع الحكم للتاريخ ، أمامكم تحديات خليقة

بأن تخلق أبطالا لا حائرين ! .

وربت ذراعه بحنان ثم واصلت :

ـــ قم بواجبك فى حينه حتى تفرغ ذات يوم لطريق الله وأنت مطمئن الضمير .

لو وهبنى الله نعمة الكرامات لأوجدت له شقة ومهرا ولكن العين بصيرة واليد قصيرة . إنه الآن يصارع ألمه وجراحه وما أملك له إلا الدعاء . وأذكر سخريات سليمان مبارك والد رندة فى زمن مضى :

ـــ ترى هل نسى الدرويش الماكر عهد فسقه ومجونه ؟

فقلت له باسما :

ـــ حل الحب محل الخوف فيما بينى وبين ذى الجلال .

ـــ تنافس إبليس بالطول والعرض ثم تطمح إلى الغفران .

ـــ حتى عهد المجون أعتبره من أطيب ذكريات الحياة .

فصاح الرجل ساخرا :

ـــ اشهدوا يا هوه ! .. واعجبوا لهذا الدرويش المودرن ..

ـــ يا مخرف ، لقد بلغت فى الطريق درجة من الوعى أجد فيها عند أغنية « حبايبى كتير يحبونى لكن انت اللى شاغلنى » . روحا من الصوفية .

فقهقه متسائلا :

ـــ وماذا تجد فى أغنية « يوم ما عضتنى العضة » ؟!

ـــ اسخر ما شئت ، إن نزوات المربى الفاضل التى مارسها وراء ستر وقاره لم تكن إلا صلاة شكر ساذجة .

فهتف :

ـــ محتشمى ، أشهد أنك ولى مغانى الهرم وملتقى مهربى الانفتاح . المشكلة الحقيقية هى علوان . ترى هل يعتبرنى المصدر الذى انطلقت منه شرارة تعاسته ؟

ـــ أود يا علوان أن أحمل عنك بعض حزنك !

فقال بضيق :

ـــ الحق أننى لا أدرى ماذا أفعل بحياتى .

ـــ سيلغ البلد يوما شاطئ الأمان .

ـــ سأبلغ الشيخوخة قبل ذلك .

فقلت متنهدا :

ـــ ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ .

ـــ ما أسرع أن تجدوا النجاة فى جملة جميلة يا جدى .

ـــ علوان ، فى الثلاثينات فصلت من عملى بتهمة تحريض الطلبة على الإضراب ، كنت صاحب أسرة وأبناء ومن كبار الفقراء ، اشتغلت بمدرسة الإعدادية الأهلية بمرتب حقير ، وأمسكت حسابات بقال من أصدقائى ، ومكثنا عاما كاملا لا نطبخ إلا العدس ، وعندك أبوك فاسأله ..

تابعنى بنصف وعى ثم قال بامتعاض :

ـــ بت أكره نفسى .

فقلت برجاء :

ـــ لعله إيذان بميلاد جديد .

فقال ساخرا :

ـــ أو موت جديد .

فقلت بحرارة :

ـــ ليكن حديثنا عن الحياة لا الموت .

فقال بحدة : الموت أيضا حياة !

وترددت فى نفسى الآية الكريمة ﴿ من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ .

علوان فواز محتشمى

جريح القلب والكرامة . أهيم على وجهى ككلب بلا مأوى . حرارة الجو تبخر لذة المشى . مقهى ريش منقذ من ضجر الوحدة . أجلس وأطلب القهوة وأرهف السمع . هنا معبد تقدم به القرابين إلى البطل الراحل الذى أصبح رمزا للآمال الضائعة آمال الفقراء والمعزولين . هنا أيضا تنقض شلالات السخط على بطل النصر والسلام . النصر يتكشف عن لعبة والسلام عن تسليم . على مسمع من السياح الإسرائيليين . أسمع وأهنأ بشىء من العزاء . أنتم إذا شئت حزب وهمى لا شعار لـه إلا الرفض . إن أضجرك الكلام فمد البصر إلى الطريق . راقب حركة الذاهبين والجائين . حركة سريعة لا تتوقف ولا تنقطع . وجوه مكفهرة ماذا وراءها ؟ . الرجال والنساء والأطفال ، حتى الحبالى لا يقرن فى بيوتهن . كل يحمل مأساته أو مهزلته . حوانيت الأثاث والبوتيكات مكتظة . كم أمة تعيش جنبا إلى جنب فى هذه الأمة ؟ ، أضواء الميدان قوية مثيرة للأعصاب ، ومثيرة للأعصاب أيضا قوارير المياه المعدنية على موائد السياح . ماذا نشرب نحن ؟ !. وأغرب الأغانى تنطلق من التاكسيات فى

راديو المجاذيب . لا يبقى على حاله التى كان عليها إلا الشجز والعمائر .
وتدوى خطبة من راديو فى مكان ما فتنتشر الأكاذيب فى الجو مع الغبار .
تعب .. تعب .. فلنعد إلى الكلام . خرابة صغيرة بمائة ألف.الجرائم
الأكاديمية فى الجامعة . كم عدد أصحاب الملايين ؟ . الأقارب والأصهار
والطفيليون . المهربون والقوادون والشيعة والسنة . حكايات ولا ألف
ليلة . الجرسون عنده أيضا حكاية وعند ماسح الأحذية . متى تبدأ
المجاعة ؟ . الرشوة عينى عينك وبأعلى صوت . الاستيلاء على الأراضى .
شيخ العصابة له أوراد . والفتنة الطائفية من يوقظها ؟ . مجلس الشعب
كان مكانا للرقص فأصبح مكانا للغناء . الاستيراد بدون تحويل عملة .
أنواع الجبن . البنوك الجديدة . بكم البيضة اليوم ؟ . والنقوط فى ملاهى
الهرم . وفسخ الخطبة ! . ماذا قال إمام الجامع على مسمع من جنود الأمن
المركزى ؟ . لا مرحاض عام فى الحى كله . لم لا نؤجرها مفروشة ؟ .
ما هو إلا ممثل فاشل . وضرب المفاعل العراقى ؟ صديقى بيجين ..
صديقى كيسنجر . الزى زى هتلر والفعل شارلى شابلن . ويسود
صمت شامل ريثما تذهب امرأة قادمة من الطريق إلى بيت دعارة وراء
المقهى وتعقد مقارنة بين تضخم عجيزتها والتضخم المالى العام . متفائل
يؤكد أنها تشتغل لتجمع رسوم رسالة الدكتوراه وأن قلبها أنقى من
الذهب . وشاب شاذ يقترح الشذوذ كحل لأزمة الحب فى الطبقة ذات
الدخل الثابت وأيضا لتحقيق الهدف من تنظيم الأسرة . لا خلاص
إلا بالخلاص من كامب ديفيد . العودة إلى العرب والحرب . حرب أبدية
والويل لعملاء التطبيع . كفى .. كفى .. فى الوقت متسع لقليل من
التسكع . الفرار منك جهد ضائع يا رندة . مرض الحب بطىء الشفاء

وأخاف أن يكون من الأمراض المزمنة . لا يعزينى عن إساءتى إليها إلا أننى أسأت ضعفين إلى نفسى . وعندما رأيت والدى على مائدة العشاء حسدتهما . أراحا نفسهما من هموم كثيرة بالعمل . التهمهما العمل وهذا شىء حسن . ليس كما كنت أتصور . بكل حزم يقولان :

ــ أعفنا من الحديث عن نفسك أو عن البلد . حسبنا أننا نشقى من أجلكم . حل مشاكلك بنفسك والبلد له رب . اذكر أبى المخضرم فى حماسه .

هتف للثورة ولبس الحداد فى هزيمتها وقضى عليه فى الانفتاح . سمعته يقول :

ــ تمر الأيام فلا أجد وقتا لحلق شعرى أو تقليم أظافرى .

وسمعته يقول لجدى :

ــ أنحشر فى الباص وآخذ هناء فى حضنى لأبعد عنها أحضان الجياع .

ومرة قال لى :

ــ يوم الجمعة ، يوم العطلة ، تتراكم الواجبات ، وقت للحمام ، وقت للعزاء ، وقت للاعتذار ، ساعة واحدة للاسترخاء وفيها تهجم على همومك وهموم البلد .

فى تخبطى ألقى أستاذتى فى نادى الخريجين . يا أستاذتى لقد فسخت الخطبة . غير موافقة طبعا وتطالبنى بإعداد لقاء بينها وبيننا مجتمعين . الوداع يا أستاذتى مضى وقت الكلام . أعدك بأن أكون عدوا للكلام بقية العمر . وخيل إلى أن المحروق حل مشاكله بالمروق من العصر . إنه يعتقد أنه هزم العصر وطوعه لأغراضه . ماذا صنع بنفسه ؟. تعلم حرفة السباكة . دفن شهادته فى أول وعاء قمامة . سألته والدكان ؟ . أجاب

دون أن يبتسم فنادرا ما يبتسم « أسير حاملا حقيبة حاوية للأدوات وأنادى سباك .. سباك . فتنهال على الطلبات ، سأصير قريبا أغنى من سيدنا الزبير . وعندما هممت بالانصراف قال لى ساخرا « أدعوك للدخول فى دين جديد اسمه الإسلام » ولما خلا أنور علام إلى قال :

ــ آسف ، ولكنك فعلت الصواب ، وسوف تضحك لك الدنيا .

وعقب انقضاء أسابيع دعانى إلى عمل عاجل فى شقته بالدقى . ولما انتهينا من العمل دعانى للعشاء . توقعت ذلك من بادىء الأمر . وشاركتنا العشاء جولستان فلم أدهش . أعلنت أسفها على فسخ خطبتى بكلمة عابرة ثم تركز الحديث على الغناء الحديث . وأسمعنا أنور علام شرائط متنوعة كعينات منه .

ــ يبدو أنك تحبه يا بك .

فقال ببساطة :

ــ على الأقل لا أنفر منه .

وتلاقيت مع جولستان فى نظرات مسترقة باحت بمودة لا خفاء فيها . دافئة وعميقة ومراوغة . إنها غير مقصرة فى إبداء مفاتنها ورزانتها معا . كأنما تقول لى إنى امرأة فاضلة ولكن لا حيلة لى مع مفاتنى . هل يعجبك هذا الطراز من النضج الأنثوى المتخطى للشباب ؟ . المسألة بالنسبة إلى مسألة جوع أولا وأخيرا . لعلها تنظر إلى باعتبارى حملا على حين أنظر إليها بعينى ذئب . أى ضغط يزاح عن أعصابى لو أذعنت لى كخليلة ! . لكن كيف ومتى وأين ؟ . وقال أنور علام :

ــ بعد شهر على الأكثر ينتهى العمل فى فيلا جولستان الجديدة ، وسوف تنتقل إليها وتتركنى وحدى .

فسألته مجاريا لمسرى الحديث « ولم لا تنتقل معها يا بك ؟ »
فأجاب :
ـــ إنى أفكر فى إعداد شقتى للزواج ، آن لى أن أتزوج !

رندة سليمان مبارك

الأمل فى الزمن . هو أيضا يميت ويحيى . سيهلك المكروب ذات يوم ويتجلى وجه الشفاء . ولن يخذل الله مؤمنا صادقا . اليوم نتبادل الحديث ونتعاون كزميلين فى مكتب واحد . كزميلين غريبين لم يذوبا فى قبلة قط . وأحيانا أراه ـــ مثلى ـــ يستحق الرثاء . لم أعد أدينه ولم أعد أحترمه . التجربة الجديدة التى تقتحمنى هى أنور علام . يستقبلنى ببشاشة غير عادية . ويحاورنى مداعبا معلنا عن إعجابه ومودته . إنى أتوقع وأفكر تحت مظلة من الكبرياء تأبى التسليم بالهزيمة . من ناحية أخرى قدرت ماما أن الهدنة انقضت وأنه آن لها أن تتكلم فقالت لى ونحن جلوس معا فى حجرة المعيشة :

ـــ علمت أن إبراهيم بك مستعد أن يتقدم من جديد .

إنه كهل صاحب مصنع معادن تقدم منذ عامين ورفض . والظاهر أنها لاحظت استيائى فقالت :

ـــ نحن متفقان على أنه طالما لا يوجد ارتباط فالأمر يفصل فيه العقل وحده .

فقلت معترضة :

ـــ لكنه أرمل وأب !

فقالت برجاء :

ــ ولكنه غنى ومستعد أن يأخذك بملابسك .

ــ ليست مجرد بيع وشراء .

ــ ولكننا لن نجد مثله بسهولة .

فقلت بحدة :

ــ لست متعجلة .

فقالت بإشفاق :

ــ الزمن يجرى بسرعة ..

فقلت بتحد :

ــ لن أكون أول عانس فى التاريخ .

لزم أبى الصمت طوال الوقت . ولم أكن صادقة تماما فى التعبير عن حالى ، فالحق أننى راغبة فى إثبات وجودى ولكن ليس على حساب كرامتى ، الكفاءة يجب أن تشمل المال والاحترام ، أنور علام يملك الاثنين ، ولو كانت به شبهة لطبقت الآفاق . وهو على الأقل مقبول وغير منفر شكلا ، والفجوة بين عمرينا معقولة لدرجة . أما الحب فمن الحماقة أن أفكر فيه الآن . ولم يطل بى الانتظار ، فعلى أثر اعتماد تقريرى ذات صباح قال لى :

ــ يصح الآن أن أسألك عن رأيك !

تساءلت وقلبى يخفق بالتوقع !

ــ فيم يا بك ؟

ــ إنى أطلب يدك ، ما رأيك ؟

فلذت بالصمت كالمبغوتة فقال :

ــ لعلى لا أجيد حديث الحب ، لكنه موجود ، لست خياليا

وحسبى أن أقول إنى أجدك حائزة لكافة الشروط بكل جدارة ..

فهمست :

ـــ الأمر مفاجأة .

ـــ طبعا تطلبين مهلة للتفكير ، معقول ، ولكن دعينى أزكى نفسى بالقدر اللازم ، فمثلى لا يشرع فى الزواج إلا إذا كان على يقين من قدرته لحمل مسئوليته ..

ـــ إنى شاكرة وسأفكر فى الموضوع ..

وعرضت الموضوع على والدى مساء . وقالت أمى بلا تردد :

ـــ على خيرة الله .

وقال أبى :

ـــ نوافق على ما توافقين عليه .

ولما انفردت بأمى سألتها عما يمكن أن نقدمه فقالت بمرارة :

ـــ من ناحية أبيك لا شىء ، من ناحيتى فلدى بقية من حلى يمكن أن أجهز شخصك بثمنها ، ويستحسن أن يعرف الرجل كل شىء ..

مرارة التجربة التى طحنتنى مزقت أقنعة الحياء الفارغة . أنضجتنى أكثر مما قدرت . صممت على الجهر بالحقيقة على أنه لم يكن فى حاجة إلى صراحتى لسابق علمه بأزمتى . وقال لى أيضا بصراحة :

ـــ سأقوم بتأثيث الشقة وحسبى ذلك .

فوافقت طبعا فقال :

ـــ يجب أن نعرف للوقت قيمته وأن يتم كل شىء فى أقصر وقت ..

وتم إعلان الخطبة فى شقتنا . اقتصر الحفل على والدى وأخواتى ، ومن ناحيته على جولستان هانم وأخ طاعن فى السن . لم يشهده أحد من جيران

العمر . وقد أهدتني جولستان قلادة ذهبية ذات فص ماسي ثمين . وكنت في أعماق متوترة الأعصاب ولكن ضبطت انفعالاتي بقوة ومثلت دوري بلباقة حسدت نفسي عليها . ولما انفردت بسناء في حجرتنا انهار سد المقاومة فأجهشت في البكاء . ورمقتني بوجوم مليا ثم قالت :

— ليكن هذا وداعك الأخير للماضي العقيم .

فقلت مولولة :

— خسرت أثمن ما في حياتي ..

فعطفت علي أكثر من أي وقت مضى وقالت :

— لا أوافقك ولكن لندع كل شيء للزمن .

محتشمي زايد

فوقنا على بعد أشبار ثمة حفل لإعلان خطبة رندة . علوان انتهى من ارتداء قميصه نصف الكم وبنطلونه الرمادي . بدأ ساعداه مفتولين وزغب صدره من فتحة القميص فاحما ، وتجلى الانسجام في قسمات وجهه المحتقنة بالحزن ، شباب وجمال وأسى . ماذا يعتلج في أعماقه في هذه الساعة اللعينة ؟ . لم أذق مرارتها إلا في الشعر . هل لدي ما أقوله له ؟ لم أجد سوى نظرة وابتسامة . ورفع يده تحية ومضى وهو يقول كعادته :

— فتك بعافية يا جدي .

وساء طبعي فجأة كأنما ازدردت كيلو شطة وفلفل . رميت بعيدا عني بخور العبادة . عالم مجنون وبائس . أيها الأحباء الراقدون تحت الأرض ما أكثركم . رأسي ثمل بذكرياتكم دون سبب واضح . وسبقكم مئات الأنبياء والأولياء فلينعم التراب بأطيب ما في الحياة . لماذا يتدفق الماضي في

روحى كشلال وبقوة بركان ثائر . هتافات الثورة تدوى من جديد ، الاستقلال التام أو الموت الزؤام ، الشعب فوق الملك . أزيز النار المشتعلة فى القاهرة ، عظمة الراحل وهزيمته ، عظمة خليفته ونكسته ، الجنون يشق طريقه فى الصخر حاملا الجوع والديون ، أيها الأحباب الذاهبون ما أكثركم ، ما فكرتم فى الموت ولا جرى لكم المرض فى حساب ، ومنكم من مزح الكونياك بالزنجبيل وطارد النسوان فى الموالد ، ومن كان يخلع نفسه من مائدة القمار ليصلى الفجر حاضرا ، ومن رمى نفسه فى مياه النيل المشعشعة بضوء القمر والزورق الشراعى يدور حوله حاملا الحشاشة المجدع ، وفتية القدر الذين تسلحوا بالإيمان والأحجار وخرجوا يتحدون الشرطة والجيش فى عيد الدستور الملغى ، إنى أشهد المعركة وأسمع أزيز الرصاص ووقع الأقدام الثقيلة المطاردة ، ما أكثركم أيها الراحلون الأعزاء وما أجهل القبور اللامبالية بأقداركم ، وذكرى جدى الأزهرى مدرس النحو الذى كان يخاطب جدتى الأمية بالفصحى وخلف ذرية من العقلاء والمجانين مازالت حتى اليوم منجبة للعقل والجنون ، ما ذنب حفيدى يا حثالة الأرض ؟ ، ورثتم أبناءكم المال والأمان وأورثتمونا الضياع والفقر والديون وكأن الثورة ما قامت إلا من أجل سعادتكم وتعاستنا . آه يا ربى متى تهبنى الشجاعة لأنبذ الدنيا وما فيها ؟ . حتى متى أحن إلى كرامات لا تتيسر ؟ ، متى أطير فى الهواء أو أمشى فوق الماء ؟ ، متى أشير إلى الظالم فأصعقه وأريح الدنيا من شره ؟ ، الحق إنها تجربة فاشلة وأن الإنسان عجز عن أن يتعامل معها كنعمة كبرى فنجسها بالغدر والأنانية والخيانة ، ها أنا أتمشى فى الشقة لأفرخ غضبى ، وها أنا أتصفح قطع الأثاث البالية كأنما أودعها ، وأقرأ

وسط مسند الكنبة حكمة مرقومة بالخط الفارسى الأسود وسط هلال من الأصداف « من تأنى نال ما تمنى » ، أى أناة يا ربى ؟ ، صبرنا آلاف السنين حتى انقلب الصبر رذيلة والتمنى عاهة ، وأشرب قدحا من الأنيسون وأعود إلى مجلسى، وترف على شفتى ابتسامة ، ابتسامة ؟! ، من أى مكان فى الغيب وردت ؟ هذه الابتسامة الضالة فى غابة الأحزان ، تقول إنها قادمة من زمن الجنون المليح مقتحمة جدار التقوى ، ندية بأنفاس الخمر وعرق الغانيات فى البقاع المحرمة ، من محراب أقران الشباب والنزق والجهاد ، ضحكاتهم تطير فى الفضاء البعيد لم تظفر بعد بجهاز استقبال يعيدها إلى الأرض ، وزمردة ترقص شبه عارية وتغنى « المية حصلت نصى » ، ليالى العربدة والمجون والمنبوذين بلا ذنب ، حيث تتجلى الحكمة والصدق فوق جباه العاهرات والقوادات ، يقلن لنا بكل تواضع ألسنا أرحم بكم من حكامكم العظام ؟ ، نحن نبذل أنفسنا فى سبيل الترفيه عنكم وهم يضحون بكم بغية الترفية عن ذواتهم ، فإلى جنة الخلد يا زمردة ويا هلوبة ويا أم طاقية ، ويا جميع المنحرفين والمنحرفات ممن لم نقر بفضلهن حتى ورد الزمان علينا بأبطال النحس والفاقة والهزائم . سقيا للياليكم المنزوية فى أعطاف الدخان والنشوة ، المنطوية فى فنون التلميع والتسمين ، المبذولة للدهن والتمشيط ، كل جهد وتخطيط من أجل الآخرين ، والرضا بعد ذلك باللقمة والازدراء وشماتة الشامتين ، هذا ما قالته ابتسامة رفت فى غير أوانها وفى ظل زمن مجنون وقلب كسير ، والندم كبير والطمع فى المغفرة بلا حدود ، والضيق بالغ غايته من كثرة الأسئلة عما يجوز ولا يجوز وعما يجب أو لا يجب على حين ينشغل اللصوص بتوزيع الغنائم ، أستعيذ بالله وبكل صاحب كرامة وبكل مالك

علم أن يقدم لتبديد ظلمات هذا الليل الطويل . وجاءنى فواز وهناء قبيل النوم وسألنى الرجل :

ــ ماذا تتوقع لعلوان ؟

فقلت بهدوء يوحى بالثقة :

ــ كل خير . إنه قوى ، وسوف يعبر الأزمة بسلام .

وقالت هناء :

ــ إنه الآن حر ويستطيع أن يشق طريقه كيفما يشاء .

ــ لا تنس أنه هو صاحب القرار ..

تمنيت أن يرجع قبل أن أخلد للنوم ، وعرضت لى فكرة قديمة جديدة وهى أن الإنسان يجب أن يعشق الدنيا وأن يتحرر من عبوديتها فى آن . وعدت أقول لنفسى ما أكثر الأحباب الذين ذهبوا ، وهل حقا عاشرتهم طويلا فى هذه الدنيا الدائبة على أكل بنيها ؟ !

علوان فواز محتشمى

قمت بدورى بكل صفاقة . أقبلت على رندة فى مجلسها بالمكتب باسطا يدى وقلت :

ــ أصدق التهانى .

رمقتنى بلمحة عابرة وتمتمت :

ــ شكرا . عقبى لك .

وانتهزت فرصة خلو المكان لفترة قصيرة فقلت لها من موقعى القريب منها :

ــ لا أخفى عنك أننى تمنيت لك زيجة أفضل .

فتساءلت بهدوء :

ــ مالها هذه ؟

ــ الحق .. أريد أن أقول إنك تستحقين أحسن زيجة .

فقالت باسمة فى غموض :

ــ إنه حسن ظنك !

وقلت لنفسى إنه على أن أطوى هذه الصفحة إلى الأبد . ولنتحمل الألم حتى نمحقه محقا . إن استسلمت للحزن جننت . ولما علمت بوصول المدير قصدته فى الحال وقلت له :

ــ معذرة ، إنى قادم للتهنئة .

فقال بمودة :

ــ لولا انصرافك عن الموضوع ما اقتربت منه .

ــ إنك دائما تفعل الصواب .

ــ شكرا وعقبى لك ، عليك من الآن فصاعدا أن تفكر فى مصلحتك ..

لم أدر ماذا أقول فواصل :

ــ الطريق واضح وما عليك إلا أن تفكر بصفاء .

فقلت وأنا أهم بالذهاب .

ــ نصيحة ثمينة يا بك .

فقال بسرعة :

ــ أنا مكلف بدعوتك ، شقيقتى دعتنا لحفل شاى صغير ابتهاجا بانتقالها إلى الفيلا الجديدة ..

حقا إن الطريق واضح . وقلت :

ــ يسعدنى أن أقبل الدعوة .

قبلت الدعوة رغم أن فكرة بيع نفسى لم تخطر لى ببال . وقصدت العنوان حوالى السادسة مساء فى جو حار رطب . وجدت الفيللا غير بعيدة عن عمارة أنور علام . صغيرة وأنيقة وذات حديقة ثرية بأشجار الورد البلدى والبنفسج ، جلست فى ثوى جديد وردى اللون محلاة جدرانه بلوحات مصوغة بالكانفاه . وجلست بيننا جولستان فى فستان أبيض دقيق الرسم لتكويناتها المثيرة . وقال أنور علام :

ـــ الحفل مقصور علينا فأنت مدعو باعتبارك من الأسرة !

فقالت جولستان بنعومة :

ـــ لم تعجبنى أخلاق أحد من زملائك سواه !

فشكرتها على حين قال أنور علام ضاحكا :

ـــ حقا إن شهادتك فى محلها .

وشربنا الشاى والتهمت قطعة كبيرة من التورتة وراح أنور يقول :

ـــ يتحدثون عن مضاعفات فتنة طائفية .

فتساءلت جولستان :

ـــ ما معنى ذلك ؟

وتساءلت بدورى :

ـــ أين الحكومة ؟

فقال أنور :

ـــ أيام قلق .

فنظرت جولستان نحوى وقالت برثاء :

ـــ يا لكم من جيل يستحق الرثاء .

فقلت بامتعاض مكملا :

ــ والتعيف أيضا .

وقام أنور قائلا :

ــ لدى مكالمات عاجلة ، عن إذنكم دقائق .

فى خلوتنا رنت إلى بعطف وتمتمت :

ــ ما يستحق مثلك إلا كل خير ..

تساءلت عما تعنيه ؟ .. السياسة أم مأساتى الشخصية ؟ ، ولكن استحوذ على انفعال جنسى من وحى جسمها الناضج . وركزت فيه نظرة مشحونة بصراحة فاضحة . تمنيت شيئا واحدا هو أن أتخذ منها خليلة .

وقلت همسا بريق جاف :

ــ أود أن أنفرد بك .

فقالت برزانة :

ــ أرحب بالانفراد برجل ذى خلق مثلك .

تعطل التيار الكهربائى المتدفق فى صدرى . قالت الكثير وبأقل الكلمات . وئدت أحلامى الطائشة ورحبت فى الوقت نفسه بى . وتماديا فى الإيضاح قالت :

ــ إنى أحترم نفسى وأرحب بمن يحترم نفسه .

فداريت خيبتى قائلا :

ــ ما أسعدنى بسماع ذلك .

بيتى يرحب بك فى أى وقت ، لقد عرفت عنك الكثير ولكنك لم تعرف عنى شيئا يستحق الذكر ..

رندة سليمان مبارك

إنه يطالب بالزفاف فى أقرب فرصة ولا أجد عذرا للتأجيل . وتقرر إقامة الاحتفال بفيللا جولستان هانم وتعذر على أبى الحضور . كان حفلا صامتا ولكنه ثرى بالبوفيه الممتاز وبمن شهده من كبار موظفى الشركة ونخبة من رجال الأعمال . وضعت على وجهى قناع سعادة لا ريب فيه والحق أنى دعوت لنفسى طويلا بالتوفيق وصممت عليه ، وكانت ورائى رغبة صادقة فى التفاهم والتكيف مع حياتى الجديدة . أخوف ما خفت أن أرى علوان بين المدعوين ولكنه لم يوجد . وقلبى وإن خلا من الميل فإنه لم يتكدر بالنفور . ترى لو كان علوان هو عريس الليلة فماذا كان سيفعل ؟ . عشت عمرى لا أتصور أنه يمكن أن أهب نفسى لسواه . ها هو الواقع يفرض قرارا آخر . حسبى أننى أشعر بأن أنور يمكن أن يحب ذات يوم ، فى هذا الكفاية . ولم تنقطع وفود المهنئين فى الأيام التالية وخاصة من أهلى . ولكن ما شأن هؤلاء الرجال ؟ . يجيئون حاملين الهدايا ، نرحب بهم معا ، تقدم لهم الخمور . ليلة بعد أخرى لا ينقطع تيارهم الغث ومنهم مواظبون . ولما أرهقتنى الوجوه الثابتة ، والمجاملة المبذولة من ناحيتى عن تأفف عميق قلت له :

— ما أكثر أصدقاءك من رجال الأعمال !

فقال لى بصراحة لافتة للنظر :

— إنهم فى الحقيقة مستقبلنا .

فتساءلت فى حيرة :

— ماذا تعنى ؟

ـــ وظيفة مثل وظيفتى لا قيمة لها إلا فى نظر موظف ناشىء ، مستقبلنا الحقيقى في القطاع الخاص ، فى المغامرة الذكية التى ترفع الشخص من طبقة إلى طبقة ، فلا تقصرى فى الاحتفاء بهم !

إذن فهى زيارات عمل ! . لم أرتح لذلك ، وقلت :

ـــ إنك أفهمتنى أنك واثق من نفسك من الناحية المالية .

فقال بصراحة مكشوفة :

ـــ عن هذا السبيل وحده ، عدا ذلك فلا أمان لأحد فى هذا الموج المتصاعد بلا توقف من الغلاء !

نسجت الكآبة حولى غشاء محكما فقال بحماس :

ـــ إذا لم يكون الإنسان ثروة خيالية فى هذه الظروف فلا بارك الله فيه ..

ـــ ألا يكفى ما يوفر لنا معيشة مريحة ؟

ـــ مريحة ؟! .. نحن فى سباق يا محبوبة لا رحمة فيه ..

ها هو شخص جديد يبرز لى من وراء الشخص الآخر ، وبعجلة مذهلة ، لا يطيق الصبر ولا يصبر على التدرج ولا يعمل حسابا لأثر رد الفعل فى نفسى . إنه يقول لى بكل بساطة إليك ذاتى بلا قناع ولا لف ولا دوران ، فما رأيك ؟! . إنه لا يرى فى هذه الدنيا إلا طموحه ولا يحفل إلا به ، يسدى إليه صلاته مائة مرة فى اليوم ، وكأنما لا وجود لى إلا من خلال الدور الذى يمكن أن ألعبه فى مخططه المترامى . حتى التمثيل الكاذب لا يتقنه أو لا يبالى به . إنه مفاجأة ومفاجأة صاعقة قذفها السيل من عل ، ولا وجود للحب إلا فى لحظته ، وسرعان ما شعرت بخيبة أمل لا عزاء فيها ، وأننى بعت نفسى بلا مقابل ، أو أن الحال أسوأ

من ذلك . وإننى أخجل من إعلان خيبتى كنت أتوهم أننى على الأقل غاية فإذا بى وسيلة لا قيمة لها إلا بما تؤديه . وظيفتى هنا أن أجامل وأسامر وأقدم الشراب . ولم يقنع بذلك كله فأخبرنى أنه لا يستطيع أن يؤجل أعماله المسائية أكثر من ذلك وأنه سيعهد إلى وحدى بمهمة الضيافة والاستقبال ، قال ضاحكا :

ـــ إنها امتداد لعملك فى العلاقات العامة .

فقلت معترضة :

ـــ ولكن لا شىء مشتركا بينى وبينهم ..

ـــ لا أهمية لذلك ، حسبك أنك لبقة وذكية ومثقفة ، ونحن شريكان ، والشريك ينوب عن شريكه خاصة فيما يعود عليهما فى النهاية بالخير ..

فقلت بحدة ، أول حدة تنتاب شهر العسل فى إبانه :

ـــ لغة سوق ما تصورت أننى سأتعامل معها !

فقال باسما :

ـــ خير البر عاجله .

ووخزتنى سخريته فشعرت بأن تجربتى تتهاوى فى جرف الفشل . ووجدت نفسى وحيدة وسط رجال يشربون ويقهقهون ، ويتوثبون لاختراق الحدود . وصكت أذنى نكتة وقحة فاقتحمتنى موجة هادرة من الاستياء والغضب ، وقلت ببرود :

ـــ حسبكم !

فنظروا إلى واجمين فقلت بخشونة :

ـــ كفاكم شربا !

فتساءل أحدهم :

ــ هل تجاوزنا حدود الأدب ؟

فقلت دون مبالاة :

ــ أظن ذلك !

ــ لعلها إشارة للانصراف ؟

فقلت متمادية فى الغضب :

ــ دون مناقشة !

وانتظرت وأنا على أسوأ حال أدور مع الهواجس وتدور معى . ولما رجع حوالى منتصف الليل عاض البشر من وجهه حال وقوع عينيه على . تساءل :

ــ خير ؟!

ــ لا خير ألبتة ، إنه بيت وليس بخمارة ..

ــ ماذا حصل ؟

ــ باختصار طردتهم وافهم ما تشاء ..

انحط على المقعد أمامى صامتا ، ثم تمتم بعد صمت :

ــ انهار بناء شامخ .

فصمت بحدة :

ــ فوق رءوس مجموعة من السفلة ..

ــ خيبة أمل ..

فسألته بغضب شديد :

ــ ألا تريد أن تفهم ؟

فقال بهدوء شديد مثير :

ــ حسبتك أوسع إدراكا ..

فصمت :

ــ الحق إنى لا أفهمك ، أنت شخص غريب ..

فقال بهدوئه المثير :

ــ المسألة سوء تفاهم .

ــ سوء تفاهم ؟!

ــ أعنى سوء تقدير من ناحيتى ..

فصرخت :

ــ يبدو لى أنك إنسان وضيع !

فدعانى إلى تمالك نفسى بإشارة من يده وقال :

ــ لا .. لا .. لا داعى لفتح هذا القاموس ، أنا عشت دهرا لم أعرف الغضب ..

ــ إنها شهادة ضدك ..

ــ هدئى خاطرك ، حصل خطأ ، وبيدنا تصحيحه .. .

فقلت بتصميم :

ــ إنى ذاهبة .

ــ ولم العجلة ؟ ، انتظرى الصباح ..

ــ لن أبقى فى هذا البيت لحظة أخرى .

فقال بتسليم :

ــ لك ما تشائين ، ولا داعى للغضب ..

محتشمي زايد

﴿ إنه لا يحب الظالمين ﴾ . ما هذا القرار أيها الرجل ؟ ! . تعلن ثورة فى ١٥ مايو ثم تعصفيها فى ٥ سبتمبر ؟ . تزج فى السجن بالمصريين جميعا من مسلمين وأقباط ورجال أحزاب ورجال فكر ؟ . لم يعد فى ميدان الحرية إلا الانتهازيون فلك الرحمة يا مصر . ﴿ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾ . وأذكر يوم حددت إقامة سعد زغلول فى بيت الأمة فزحف الانتهازيون بالولاء الزائف نحو القصر ، لماذا تعيد تمثيل تلك المسرحية القديمة من ريبوتوار المآسى المصرية ؟ . وأذكر عهود الاستبداد بسوادها الكالح أفكانت ثورة ١٩١٩ حلما أم أسطورة ؟! . (ليس الشديد بالصرعة .. إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب) . ترى ماذا تخبىء أيها الغد ؟ . أما عن أمسى فقد فقدت أقدم وآخر صديق . صداقة دامت خمسة وسبعين عاما . يوم تعارفنا على عتبة المدرسة الأولية . لولا الشيخوخة وسوء المواصلات .. آه . صممت على تشييع الجنازة . رحلة شاقة كرحلة الحاج وتوكأت على علوان . فى دار المناسبات استعرضت فيلم العمر الثرى : المدرسة ، الشارع .. المقهى .. الحانة .. لجان الطلبة .. ليالى الزفاف .. أعياد الميلاد . الوجه ها هو .. الابتسامة ها هى .. هل سمعت آخر نكتة ؟ .. والشكوى من الدهر .. أنتفق فى كل شيء ونختلف فى الأهلى والزمالك ؟ عليك بقدح ماء على الريق .. ولا تنس دواء الذاكرة . فاتنى أن أسمع تعليقك على ٥ سبتمبر ولكننى أعرفه . وبدأت التلاوة . ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ سرعان ما جاء الموت بابتسامته المراوغة وجلس إلى

جانبى . لا تتعجل فلم تبق إلا خطوة . موت صديقى القديم بروفا لموتى . أرى كل شىء ، الغسل والدفن والمشيعين . وأقرأ النعى ، محتشمى زايد من رجال التربية القدامى وشباب الحركة الوطنية . هل تذكره ؟ ، ظننته مات من زمان . ويجىء النسيان متثائبا ولكنى أسلم بمنتهى الرضا . حقا إنه عمر طويل ولكنه يبدو الساعة كلحظة عابرة . الحب والعنف والغضب والأمل ألا ما أكثر الراحلين . لا فرق الآن بين أن تكون أنت فى النعش وأنا ماش وراءك أو العكس . وحيانى ابنه بحرارة وقال لى فى احتضاره حملنى التحية إليك ..

وفى المساء عاتبنى ابنى فواز قائلا :

ـــ فى سنك يعفى الإنسان من أمثال هذه الواجبات .

أما هناء فقالت :

ـــ اشتريت اليوم كتابا لا يقدر بثمن هو « كيف تصلح أجهزتك المنزلية » ، فلعله يحررنا من السباك والكهربائى .

وعند ذاك تساءل علوان :

ـــ ألا يوجد كتاب يحررنا من الحكام ؟

فقال فواز :

ـــ لا حديث للناس إلا اعتقال الذين اعتقلوا ..

فعاد علوان يقول بعصبية :

ـــ أستاذتى علياء فى السجن وصديقى محمود المحروق أيضا !

فقلت ملاطفا :

ـــ ثمة وعد بمحاكمة سريعة حتى لا يضار برىء .

ـــ أمازلت تصدق الأكاذيب يا جدى ؟

ما أنقذه من القضبان إلا حيرته والويل للمنتمين .
ولما خلا لنا المكان قلت له :
ـــ آمل أن تتغلب على أزمتك بما أعهده فيك من شجاعة !
فقال ساخرا :
ـــ المصائب تقل حدتها بالتكاثر فتتكسر النصال على النصال ..
وأغلق التليفزيون ورجع إلى مجلسه إلى جانبى وهو يقول :
ـــ جدى ، لا أحب أن أخفى عنك سرا ..
أصغيت إليه مستطلعا باهتمام فقال :
ـــ توجد قرائن قوية على دعوة موجهة لى للزواج من شقيقة أنور علام زوج رندة ..
ـــ حقا ! ، إلى بمزيد من المعلومات ..
ـــ هى أرملة تكبرنى بعشرين عاما ، غنية جدا ..
ـــ والشكل !
ـــ ليس كما تظن ، مقبولة ومحترمة أيضا .
فلذت بصمت ثقيل فسألنى :
ـــ ما رأيك يا جدى ؟
فقلت من مأزق :
ـــ إنه قرار خاص جدا يحسن ألا يشاركك فيه أحد .
ـــ ولكننى مصمم على معرفة رأيك .
ـــ هل تحبها ؟
ـــ كلا ولكننى لا أكرهها ..
ـــ لا أدرى ماذا أقول ..

ـــ يوجد ما يقال ..

ـــ لا حق لى فى تشكيل مصيرها ، إنى أنتمى إلى عالم آخر وليس من الحكمة أن يستبد عالم بعالم آخر .

ـــ ولكنك لم تعودنى الهرب ..

فصمت قليلا ثم قلت :

ـــ للمشروع مزايا لا يستهان بها وعيوب لا يستهان بها أيضا ، وفى مثل حالك ترجح مزاياه بعيوبه !

فابتسم ابتسامة غامضة وقال بحدة :

ـــ إنى أرفض أن أبيع نفسى !

فجرى ماء الراحة فى أعماق الملتهبة ولكنى سألته :

ـــ هل اتخذت قرارك مع التفكير اللازم .

ـــ وأكثر من اللازم .

فقلت بحرارة :

ـــ أسأل الله أن يعوضك عنها خيرا .

وقلت لنفسى « كراماتك يا سيدى الحنفى ! »

علوان فواز محتشمى

وأنا أهم بالذهاب قال لى جدى :

ـــ أما عرفت يا علوان ؟

فرمقته متسائلا فقال :

ـــ رندة طلقت !

غمرتنى موجة عالية من الذهول والخوف والارتياح وهتفت :

ــ مازالت فى شهر العسل !
ــ والدتك أنبأتنى به هذا الصباح .
ــ كيف يمكن أن يحدث هذا ؟
ــ عندما تتعذر المعاشرة ..
ثم وهو يودعنى :
ــ أردت أن أنبهك حتى لا تفاجأ به هناك .
غضبت فى انفعالاتى طيلة الطريق . لم أر إلا حزنى وفرحتى التى ضقت بها . ورأيت رندة مستكنة فى غشاوة كآبتها كما رأيت ظل الكآبة منتشرا فى المكتب كله . صافحتها وأنا أقول :
ــ إنى ..
فقاطعتنى :
ــ شكرا :
فقلت بصدق :
ــ إنك لا تستحقين ذلك .
فقالت بهدوء :
ــ أكرر الشكر ولا داعى للمزيد .
وتطايرت الأقاويل بعيدا عن مسمعها فسمعت الأعاجيب . واضح أنه فشل كما يحدث للكثيرين ممن يتزوجون فى سن متأخرة ، لا .. لا .. إنه شاذ .. تأملوا حركات يديه ، بل العلة فى برودها فالجمال الظاهر ليس كل شىء ، يقال أيضا إنه توجد علاقة آثمة بينه وبين أخته ، سمعت وتألمت . إنى أحبك يا رندة كما كنت وأكثر ، يحزننى أن أجدك فى موقف منهزم ، قلبى مع كبريائك الجريح . وخيل إلى أننى قد أقترب من السر عند أنور .

نفسه . أعلنت له أسفى فحدجنى بنظرة ساخرة .

وتمتم :

ــ شكرا !

أدركت من توى أنه يشك فى صدق فقلت :

ــ آسف لكما معا .

فقال ببرود :

ــ لا شىء يوجب الأسف .

وعبر إلى الأوراق المعروضة دون زيادة . ودعتنى جولستان هانم لزيارتها فلبيت دون تردد وأنا على شبه يقين من أننى سأعرف عندها الحقيقة . وجدتها متحلية كعروس وقالت لى معاتبة :

ــ ألا تزورنى إلا إذا دعوتك ؟

ــ أخاف أن أحرجك .

ــ عذر لا معنى له وأنت أول من يدرك ذلك .

وقدمت لى دندرمة محشوة بالمسكرات ثم قالت :

ــ عنت لى فكرة .

فنظرت نحوها باهتمام فقالت :

ــ أخى بدأ ينشغل بنفسه عنى فهل تعمل أنت وكيلا لأعمالى ؟

تبدى لى الاقتراح مثل هاوية تنداح تحت قدمى فقلت :

ــ قد يغضبه ذلك !

ــ هو صاحب الفكرة !

فقلت متحرجا :

ــ أمهلينى كى أفكر فقد عرض على بعضهم أن ألتحق بقسم الماجستير .

ـــ العمل بسيط ولكنه يحتاج إلى شخص أمين .

ـــ ستكون المهلة قصيرة جدا ..

وإذا بها تتطوع لإطلاعى على جانب هام من ماضيها ، قالت :

ـــ طالما رميت بالجشع بسبب زواجى ، والحقيقة أن أبى هو الذى زوجنى من رجل يكبرنى بثلاثين عاما ، على ذاك مضت حياتى معه مكللة بالاستقامة والأمانة ، وكانت ومازالت سمعتى أنقى من الماس .

فقلت بيأس لم تفطن إليه :

ـــ إنك مثال للاحترام .

ثم فى مراوغة :

ـــ أنور بك رجل محترم أيضا ولكن تأمل سوء حظه ..

فرمتنى بنظرة متوجسة وسألتنى :

ـــ أترثى له أم لزوجته ؟

فقلت متحديا :

ـــ ما مضى قد مضى وانقضى !

ـــ حقا ؟ !

ـــ هى الحقيقة بكل بساطة .

ـــ إذن دعنا من هموم الآخرين ولنتنبه لهمومنا !

فانحصرت فى ركن لا أدرى ماذا أقول فقالت بصراحة ذكرتنى بأخيها :

ـــ أنت فاهم وأنا فاهمة ..

ثم بشىء من التأثر :

ـــ من حقى أن أسعى إلى سعادتى طالما أن كرامتى مصونة .

فقلت حتى لا ألزم الصمت أكثر مما يحتمل :
ـــ إنى أحترم هذا المنطق السديد ..
فقالت بعذوبة :
ـــ لن تندم . وإنى منتظرة .

رندة سليمان مبارك

ست أعين تدور فى فلك الحيرة . عيناى فى عينى أمى ، عيناى فى عينى أبى ، عينا أمى فى عينى أبى ، أعيننا جميعا تتنافر هاربة . فى تلك الساعة من الليل ذهلت أمى لمرآى . شحب لون وجهها عاكسا لون وجهى . همست وأبى يغط فى نومه تحت الملاءة الأرجوانية .
ـــ رندة .. ماذا وراءك ؟
وقفنا فى وسط الصالة وأفرغت ما فى صدرى دفعة واحدة :
ـــ إنه الطلاق !
وصببت عليها الحكاية بتفاصيلها . وعلم أبى بها بعد الفطور صباحا على درجات . قلت له :
ـــ لا يمكن أن نتفق ..
وراحت أمى لتتحدث عن الزوار والخمر . احتقن وجهه بالغضب فقلت له :
ـــ لا تحمل صحتك فوق طاقتها .
فقال بحنق :
ـــ فهمت كل شىء . لو بى قدرة لأدبته
ـــ لا ضرورة لذلك ، كان صريحا ، وسرعان ما اعترف بفشله .
ـــ كيف غابت عنك حقيقته ؟

ـــ لكل أسراره ولا أنكر أنني خدعت .

ـــ يستحسن أن نستشير محاميا .

فقلت بإشفاق :

ـــ هو أقصر سبيل لنشر الفضيحة ، ومن ناحية أخرى فقد سلم لى بكافة حقوق دون أدنى اعتراض .

ـــ قد يغرى هذا الطلاق السريع ألسنة السوء بك ؟

ـــ إنى واثقة من نفسى وسرعان ما ينسى كل شيء .

ورغم أن أحدا من الزملاء لم يكدر صفوى فقد شعرت طيلة الوقت بجو محموم بالتساؤلات المكتومة .

خاصة من ناحية علوان الذى بلغ غضبى منه مداه . ومرة همس لى ونحن منفردان :

ـــ إنى حزين جدا .

فسألته ببرود :

ـــ لماذا ؟

ـــ لعله الشعور بالذنب .

ـــ لا شأن لك بما كان .

فتحول عنى بعينيه وهو يقول :

ـــ مازلت أحبك .

فقلت بحدة :

ـــ لا أريد سماع هذه الكلمة من فضلك !

وبمرور الوقت ضقت بكل شيء وحتى بغضبى ضقت . ورجعت أنظر إليه كما أنظر إلى نفسى برثاء . بل وجدت شيئا من خلو البال فتساءلت ترى

كيف تسير الأمور بينه وبين جولستان ، هل يتزوج منها يوما ما ؟ . وأى غرابة فى ذلك وربما كانت المرأة خيرا من أخيها . لم أجد بها ما يسوء . وهى تريده ما فى ذلك من شك . اللعنة .. إنها تحبه . من كان يتصور أننا نفترق ؟ . من كان يتصور أن الآمال الكبار يمكن أن تتلاشى كقبضة من غبار ؟ . وهمس لى عند ميعاد الانصراف يوما :

ــ أشعر بدافع قوى لتبادل الرأى !

صمت صمت القبور لرغبتى الشديدة فى الحديث .

وذهبنا إلى استراحة الهرم فتناولنا بعض السندوتشات مع الشاى ورحنا نتبادل النظر فى بلاهة . سألنى :

ــ هل لديك خطة ؟

فقلت ببساطة :

ــ أعيش بلا خطة ولا أحلام وهو غاية الراحة .

ــ وأنا أيضا ولكن جدى يقول إنه ما بين غمضة عين و ..

قاطعته :

ــ دعنا من جدك وأمثاله فهى لا تصلح لنا ، متى تتزوج من جولستان ؟

فقطب متسائلا :

ــ من قال ذلك ؟

■

ــ مجرد سؤال .

ــ أنا لا أبيع نفسى .

ــ إذن ترى أننى بعت نفسى ؟

فقال بسرعة :

ـــ كلا ، الأمر مختلف ، لا غرابة فى أن تتزوج فتاة من رجل يكبرها أما العكس ..

وتصفح وجهى بقوة ثم سألنى :

ـــ ما أسباب الفشل فى زواجك ؟

بى رغبة حقيقية للاعتراف له بالحقيقة . وهو دون الآخرين .

ـــ تعدنى بألا تبوح بالسر لإنسان ؟

ـــ أعد بشرفى .

وأفرجت عن المأساة الحبيسة فى ضلوعى ، حتى هتف :

ـــ الوغد !

ـــ انتهى وقت الغضب فلا تنس وعدك .

ـــ فاق أى خيال .

ـــ ليس أعجب مما سمعنا فى حياتنا ..

محتشمي زايد

أرى فى أحلامى أبى وأمى وأختى محاسن .. ورأيتهم مرة فى منطاد يحلق فوق رأسى ، ترى هل أزف الرحيل ؟ . هل آن للعجوز أن يعفى الدولة من صرف معاشه ؟ . الصحة جيدة رغم عين الحسود سليمان مبارك ، ولكن الصحة مهلكة مثل المرض . كفى بالصحة داء ، صدق رسول الله . عبدك منتظر يا رب ، يتوقع بين آونة وأخرى أن يدق الجرس وسوف يستقبل الطارق بما يليق به من طاعة وترحاب . حسن الختام يا رب ، جنبنى الأوجاع والعجز وشكرا على حياة طويلة عريضة . حسبى أنى لم أقدم أذى لإنسان فى هذا العالم الحافل بالأذى . والشيخوخة

قضيتها جوالا بين كلماتك وأنبيائك وأوليائك ، وقبل ذلك كابدتها فى دنياك ونعمائك . رياضتى العبادة وتسليتى الطرب وسرورى الطعام الحلال . ها هو العيد يطل علينا متوجا بأنداء الخريف . نهر من السحب البيضاء يتدفق فوق النيل الأسمر والأشجار الباسقة دائمة الخضرة . أيام قلائل نادرة فى حياة هذه الأسرة الممزقة . فواز يملأ جلبابه فى استرخاء ، وهناء تمشط شعرها الأبيض ، وعلوان يحلق ذقنه تأهبا للانطلاق . قلت بسرور وأنا أتصفحهم حولى : ■

ـــ أخيرا نجتمع كأسرة يا أولاد !

فقال فواز بصوته الجهير :

ـــ نقطة راحة فى بحر من التعب . .

ـــ لو كانت الدنيا غير الدنيا لخرجنا إلى القناطر .

ـــ فكرة غير صالحة للعصر أو قل إنها جنونية .

قالت هناء ضاحكة .

ـــ نأكل وننام ، هذا ما تبقى لنا من العيد .

ـــ وأنت يا علوان ؟

ـــ إلى المقهى على الأقدام !

فقال فواز باسما :

ـــ ثرثرة كالعادة !

فقلت :

ـــ وعيد آخر اتفقت دورته مع العيد ، عيد النصر .

فقال علوان ساخرا :

ـــ النصر والسجن .

فقلت بنشوة غازية :

ــ لا دوام لحال ، الجديد أيضا آتٍ لا ريب فيه .

ــ حقا ؟ ! .. يحيا الصبر والانتظار !

فقال فواز حالما :

ــ مفاجأة بترولية أو اكتشاف نهر مغمور فى الصحراء !

فقال علوان : ■

ــ أو اندلاع ثورة .

فتساءل فواز :

ــ هل تعنى الثورة إلا مزيدا من الخراب ؟

فقال علوان متهكما :

ــ ضربوا الأعور على عينه !

يتحدثون عن الثورة بلا معرفة . لم يسمعوا عنها . حكى لهم الراوى المأجور حكاية زائفة كاذبة . يبدأ المدرس المغلوب على أمره درسه بالسؤال الخائن « لماذا فشلت ثورة ١٩١٩ ؟ » . يا يا أبناء الأبالسة ألا توجد قطرة حياء ؟ . يا زبانية المعتقلات وعباد نيرون . ها هو علوان يلوح بيده ويذهب . يذهب حاملا خيبة فرد وجيل معا . وفتحت هناء التليفزيون قائلة :

ــ نشاهد الحفل .

المنظر العام ثرى يوحى بالفرح الشامل . قدوم الرئيس فى هالة لألاءة كليلة القدر . عليه بزة القيادة . وبيده صولجان الملك . وتتابعت الصفوف والأعلام . قالت هناء ببراءة :

ــ شد ما هو معجب بنفسه ..

فقلت :

ــ اليوم يومه .

فقال فواز :

ــ إنه لسعيد ، وهو حقيق بذلك ..

ثم مستدركا فى أسى :

ــ خسر الكثير منذ ٥ سبتمبر .

عرض فوق الأرض وعرض فى السماء ، منظر نادر لا يتكرر . قلت بصوت من الماضى :

ــ لم نكن نرى الجيش إلا يوم المحمل .

ــ انظر يا أبى . هذا عالم آخر ..

وقالت هناء ضاحكة :

ــ وجه مورد كأنه مطلى بروج .

وتمر الفيالق ويمر الوقت ، ويزحف على الكسل وشىء من النعاس . وأصحو فى لحظة غريبة من الزمان . قرص التاريخ أذنى ، والدهر . قالا لى هكذا وقعت الأحداث التى قرأتها فى صحف التاريخ بانتباه عابر . ها هى تقع فى حجرة المعيشة . تضطرب الشاشة الصغيرة وتتميع ، وتنقض حركة غير عادية ، وتنطلق أصوات ، ثم يدهمنا الاختفاء .

ــ هل حصل شىء فى التليفزيون يا فواز ؟

ــ ليس فى الجهاز .. لا أدرى ماذا حصل ..

وقالت هناء بقلق :

ــ شىء غير عادى .. قلبى غير مطمئن ..

فقال فواز :

ـــ ولا أنا ..

تساءلت :

ـــ هل .. !؟

قال فواز :

ـــ الله أعلم يا بابا ، عما قليل سنعرف كل شيء ..

وقلت من قلبي :

ـــ اللهم حوالينا ، لا علينا ..

علوان فواز محتشمى

ليكن عيد ولننس همومنا ولو ساعة واحدة . ولكن كيف والباب له مائة مفتاح ؟ ماذا يقول لى النيل وماذا يقول الشجر ؟ . اسمع جيدا ، إنها تقول ، يا علوان يا فقير يا عائشا بين الأسوار ، رندة تعود إليك تحت مظلة الصداقة والحوار ، فى ظل حب غير معلن يقوم على أرضية مستندة إلى عمودين من الصلب واليأس تظلها أحلام غامضة . لا مطاردة من الأهل ولا أمل ولا يأس . امش مشية عسكرية سريعة فهذا يوم الجنود . وها هو المقهى مكتظ بعلماء الكلام . هنا ينعدم الرضا والفعل . بيننا مائدة عليها ترانزستور تطوع أحدهم بإحضاره . كما فعل يوم أذاع علينا الرئيس الراحل هزيمته عقب ٥ يونيه . أول ما سمعت قائلا يقول :

ـــ الرئيس الراحل فى هزيمته أعظم من هذا فى نصره .

هذا يذكرنى برأى أدلى به جدى مرة ، قال لى :

ـــ نحن قوم نرتاح للهزيمة أكثر من النصر ، فمن طول الهزائم وكثرتها ترسبت نغمة الأسى فى أعماقنا ، فأحببنا الغناء الشجى والمسرحية المفجعة

والبطل الشهيد ، جميع زعمائنا شهداء : مصطفى كامل شهيد الجهاد والمرض ، محمد فريد شهيد المنفى ، سعد زغلول شهيد النفى أيضا ، مصطفى النحاس شهيد الاضطهاد ، جمال شهيد ٥ يونية ، أما هذا المنتصر المعجبانى فقد شذ عن القاعدة ، تحدانا بنصره ، ألقى فى قلوبنا أحاسيس وعواطف جديدة لم نتهيأ لها ، وطالبنا بتغيير النغمة التى ألفناها جيلا بعد جيل ، فاستحق منا اللعنة والحقد ، ثم غالى بالنصر لنفسه تاركا لنا بانفتاحه الفقر والفساد ، هذه هى العقدة .

وغرقنا فى دوامة الحوار الأرعن والترانزستور يذيع تفاصيل عيد النصر لمن يسمع حولنا من رواد المقهى . وسرقنا الوقت كالعادة حتى انتبهنا على أصوات غريبة وصوت المذيع وهو يصرخ :

ـــ الخونة .. الخونة ..

شلت الألسنة وزاغت الأبصار . تلاصقت الرءوس فوق الترانزستور ولكنه انقطع عن متابعة الحفل وراح يذيع بعض الأغانى .

ـــ ماذا حدث ؟

ـــ شىء غير عادى .

ـــ قال .. الخونة .. الخونة .. الخونة ..

ـــ اعتداء !

ـــ على من ؟

ـــ سؤال سخيف حقا ..

ـــ الأغانى المذاعة تدل ..

ـــ متى كان للمنطق أهمية ؟

ـــ شيئا من الصبر !

ماتت أى رغبة فى العودة إلى البيت . تلاصقنا بشعور دعانا إلى البقاء معا أمام المجهول .

تناولنا غداء موجزا من المكرونة وانتظرنا . وبعد وقت عنيف أعلن المذيع أنه حصلت محاولة للاعتداء فاشلة وأن الرئيس غادر الحفل وأن قوات الأمن مسيطرة على الموقف تماما ، وانطلقت الأغانى من جديد .

ــ ها هى الحقيقة .

ــ الحقيقة ؟

ــ فكر قليلا .

ــ بعض الحقائق لا يمكن إخفاؤها .

ــ ولكن يمكن تأجيلها .

ــ من المعتدون ؟

ــ من غير التيار الدينى ؟

ــ لكنه يجلس بين الجنود والحرس .

ــ انتبهوا .. بدأت إذاعة الأناشيد الوطنية ..

وإذا بإذاعة جديدة تعلن عن إصابة طفيفة للرئيس وأنه يلقى العناية الكاملة فى المستشفى . قلوبنا ترقص فى مد الاحتمالات المتصاعد . الزمن توقف وغير لونه ثم أطل علينا بوجه جديد .

ــ أصيب الرجل ، ماذا بعد ؟

ــ استعدوا للسجن .

ــ عودة مؤكدة للإرهاب .

ــ سينجو وينتقم .

ــ هل نسمع القرآن بعد الأناشيد ؟!

وتحملنا الوقت على ثقله حتى صحت النكتة وبدأت التلاوة . بهتنا أول الأمر . إنه اليقين . يا للذهول ! حقا ؟! . انتهى الرجل ؟ .. من كان يتصور ؟ لماذا نؤمن أحيانا بأنه يوجد مستحيل . لماذا نتصور أنه توجد حقيقة فى هذه الدنيا سوى الموت ؟ . الموت هو . الموت هو الدكتاتور الحقيقى . ويجىء البيان الرسمى كالجملة الختامية . ترى ماذا يقول الناس ؟ . أريد أن أسمع ما يقال حولنا فى المقهى . وتحركت مرهف السمع . لا حول ولا قوة إلا بالله . هو وحده الدائم . البلد يواجه خطرا لا يستهان به . لا يستحق هذه النهاية مهما قيل عن أخطائه .. فى يوم نصره ؟ . مؤامرة .. توجد مؤامرة محكمة ولا شك . فى داهية .. الموت أنقذه من الجنون . على أى حال كان يجب أن يذهب . هذا جزاء من يتصور أن البلد جثة هامدة . بل هى مؤامرة خارجية . لا يستحق هذه النهاية . إنها نهاية محتومة . كان لعنة . من قتل يقتل ولو بعد حين . فى لحظة انهارت إمبراطورية . إمبراطورية اللصوص . فيم تفكر العصابة الآن . عدت إلى مجلسى تمزقنى انفعالات متضاربة من الأسى والخوف والسرور . وأفعمنى ترحيب غامض باحتمالات مجهولة واعدة بتحطيم الجمود والروتين والانطلاق نحو آفاق غير محدودة . ليكن الغد ما يكون أسوأ من اليوم . حتى الفوضى خير من اليأس ومقاتلة الأشباح خير من الخوف . هذه الضربة زلزلت عرشا واخترقت حصونا . ومع المساء همت على وجهى . أرهقنى الكلام . ما أرغبنى فى المشى . على كل عابر أرى أثرا من الموت . وأجدنى فجأة أمام فيلا جولستان وأرى سيارة أنور علام واقفة تنتظر صاحبها . تتفجر فى داخلى كل شهوة للجنس وكل نزوع للقتال ..

رندة سليمان مبارك

يا للفظاعة . ألا توجد وسيلة إلا القتل ؟ . وما ذنب زوجته وبناته ؟. لست من أنصاره ولكنه لا يستحق هذه النهاية . إنه يعيدنى إلى المشكلات العامة بعد طول انغماس فى مشكلاتى الخاصة . القتل كريه والله لا يحبه . أمى بكت كإنسان لم تغيره السياسة . وجمت حجرة المعيشة أكثر من وجومها المألوف فى تلك الأيام . وسألت أبى عن رأيه فقال :

ـــ هيهات أن يرد رأى الحياة لميت .

ورنا إلى مليا بعينيه الذابلتين ثم واصل :

ـــ البلد مريض بالتعصب يا رندة ، أين أيام « لماذا أنا ملحد ؟ » يريدون أن يرجعونا أربعة عشر قرنا إلى الوراء .

وصمت قليلا ثم قال :

ـــ أنا عارف أنك لا توافقين على رأيى كله فافعلوا بزمانكم وليفعل بكم ما يشاء ولكننا متفقان على رفض القتل ..

إنه الخط الأدنى الذى نقف عليه معا . ترى أين أنت يا علوان ؟ . إنك لا تحبه فهل سررت بنهايته ؟ . وعلى غير توقع اقتحم علوان شقتنا بعد طول انقطاع وبجرأة دلت على قوة دوافعه . وسرعان ما انفردنا بأنفسنا فى الصالة على كرسيين متجاورين حول السفرة . وسألته :

ـــ أين كنت وقتها ؟

فقال باضطراب أفزعنى :

ـــ دعينا من ذلك فما من جديد يقال ، رندة أصغى إلى جيدا ..

ـــ ماذا عندك ؟

ـــ وجدتني مساء اليوم أمام فيللا جولسنان وسيارة أنور علام المنتظرة ، ودون دعوة ولا تدبير سابق اندفعت إلى الداخل ، وكان هو أول من رأيت فهتف مرحبا « أهلا » رب صدفة خير من ميعاد ، وإذا بى أصيح مفقود الرشد « يا قذر ! » ولكمته فى صدره بقوة فترنح وهوى إلى الأرض ، وهنا نبهتنى صرخة جولستان إلى وجودها ، قالت لى بحزم « كف عن همجيتك » وساعدته على القيام وهو يلهث فمضت به إلى حجرة نومها . تسمرت فى موقفى غائب الوعى تقريبا . وغابت هى ربع ساعة ثم رجعت شاحبة اللون ذاهلة النظرة وغمغمت :

ـــ ماذا فعلت يا مجنون ؟ . لقد قتلته !

حملقت فى وجهها دون أن أنبس . اغرورقت عيناها وتمتمت :

ـــ ماذا فعلت يا مجنون ؟! .. لماذا قتلته ؟

وانحطت إعياء على مقعد مسندة رأسها إلى راحتها على حين مضيت أسترد وعيى وأدرك أبعاد فعلى . وأخيرا قلت :

ـــ استدعى الشرطة ، إنه قدرى ..

لم تند عنها حركة ورغبت بكل قوتى فى التخلص من الموقف فقلت :

ـــ سأذهب بنفسى إلى الشرطة ..

فأشارت بيدها إشارة غامضة وهمست :

ـــ اقعد حيث أنت .

ومر الوقت على أعصابى ثقيلا مثل وابور الزلط فقلت :

ـــ لا معنى للانتظار .

فهمست :

ـــ انتظر .

وأحنت رأسها تخفى عينيها عنى وهمست :

ـــ كان يشكو تعبا مزمنا فى قلبه !

فيم تفكر ؟ . ساورنى شك عاكس لنور خاطف من أمل مذبذب .

ـــ لكنى أنا الذى ..

فقالت بهدوء دل على أن رأسها المضطرب شرع يفكر :

ـــ لا أثر للضرب .

بهذه العبارة تورطت كشريكة فى الجريمة . تفرست فى وجهها بذهول وأنا أعجب لطبيعة الشخص التى قد تظل خافية فى الظروف العادية إلى الأبد . أى امرأة !. ولكن فرحتى بطوق النجاة كانت فرحة غريق يائس . قلت :

ـــ لن يخفى شىء على الطبيب .

فقالت بثقة :

ـــ لا شأن لك بهذا .

وتبادلنا نظرة فاضحة لكلينا وقالت :

ـــ طبعا أنت فاهم لماذا أعمل على إنقاذك ؟

فأحنيت رأسى ممتنا وأنا لا أصدق فسألتنى :

ـــ هل أثق فى شرفك ؟

.. وتعهدت بشرفى ..

ولما انتهى سألته وأنا من اليأس فى نهاية :

ـــ لماذا تبوح لى بسرك ؟

ـــ لا سر بيننا يا رندة .

فقلت بمرارة :

ــ لقد ارتكبت جريمتك غضبا لى ، وأنت تستحق النجاة .

ــ أهذا رأيك ؟

ــ طبعا . لا يمكن أن أشير عليك بالموت .

فقال بانفعال :

ــ فى الحقيقة إننى لم أقل كل ما عندى ، فما غادرت الفيللا حتى احتقرت نفسى وكرهت القرار الذى اتخذته ، وفى حيرتى قصدتك لأعترف بكل شىء ..

فقلت له بإشفاق :

ــ إنى مدركة تماما لمشاعرك ولكنى لا ألومك على قرارك !

فقال بعناد خفق له قلبى :

ــ ولكنى أرفض .

ــ هذا هو الجنون .

ــ ليكن .

فقلت متوسلة بحرارة :

ــ المعجزة لن تتكرر .

ــ ليكن .

ــ لا وقت للندم .

ــ لن أندم أبدا .

ــ إنى بريئة مما تفكر فيه .

فقام وهو يقول :

ــ سأرجع إليها لأصارحها بكل شىء .

ـــ لا أوافق .

فقال وهو يمضى :

ـــ وأنا مصمم ..

محتشمي زايد

بعد اختفاء علوان أغرق فى وحدة مطلقة . حزنى عميق وحزن أبويه لا قرار له ، أما العالم حولنا فيشرئب إلى أمل جديد ، ورندة أى شجاعة ساقتها إلى المحكمة لتدافع عن الشاب بحيائها وكرامتها . وكان من حسن الحظ أن تشخص الجريمة كضرب أفضى إلى موت . أعوام تمر ثم يغادر السجن صاحب حرفة يكون بها أقدر على تحديات الحياة وتحقيق آماله . لا أحسبنى أراه مرة أخرى ، سيجد حجرتى خالية فيمكنه أن يتزوج حبيبته فيها . ترى هل بقيت أكثر مما يجوز وهل لعبت دورا وأنا لا أدرى فى تعقيد مشكلته ؟! .

آن لى أن أنضم إلى فريق المسبحين المتطلعين إلى الأبدية فى رحاب ذى الجلال .

« تمـــت »

مؤلفات الأستاذ نجيب محفوظ

اسم الكتاب		تاريخ اول طبعة	تاريخ آخر طبعه	
مصر القديمة		١٩٣٢		
همس الجنون	مجموعة	١٩٣٨	العاشرة	١٩٧٩
عبث الاقدار	رواية تاريخية	١٩٣٩	الحادية عشرة	١٩٨٥
رادوبيس	رواية تاريخية	١٩٤٣	العاشرة	١٩٨١
كفاح طيبة	رواية تاريخية	١٩٤٤	الحادية عشرة	١٩٨٥
القاهرة الجديدة	رواية	١٩٤٥	الثانية عشرة	١٩٨٤
خان الخليلي	رواية	١٩٤٦	العاشرة	١٩٧٩
زقاق المدق	رواية	١٩٤٧	الحادية عشرة	١٩٨٥
السراب	رواية	١٩٤٨	الثانية عشرة	١٩٨٤
بداية ونهاية	رواية	١٩٤٩	الرابعة عشرة	١٩٨٤
بين القصرين	رواية	١٩٥٦	الثانية عشرة	١٩٨٣
قصر الشوق	رواية	١٩٥٧	الثانية عشرة	١٩٨٤
السكرية	رواية	١٩٥٧	الحادية عشرة	١٩٨٤
اللص والكلاب	رواية	١٩٦١	التاسعة	١٩٨٠
السمان والخريف	رواية	١٩٦٢	الثامنة	١٩٨٤
دنيا الله	مجموعة	١٩٦٢	الخامسة	١٩٧٨
الطريق	رواية	١٩٦٤	الثامنة	١٩٨٤
بيت سيء السمعة	مجموعة	١٩٦٥	السابعة	١٩٨٣
الشحاذ	رواية	١٩٦٥	الثامنة	١٩٨٥
ثرثرة فوق النيل	رواية	١٩٦٦	السادسة	١٩٨٣
ميرامار	رواية	١٩٦٧	الخامسة	١٩٧٩
خمارة القط الاسود	مجموعة	١٩٦٩	السابعة	١٩٨٥
تحت المظلة	مجموعة	١٩٦٩	السادسة	١٩٨٤

اسم الكتاب		تاريخ اول طبعه	تاريخ آخر طبعه	
حكاية بلابداية ولانهاية	مجموعة	١٩٧١	السادسة	١٩٨٤
شهر العسل	مجموعة	١٩٧١	السادسة	١٩٨٢
المرايا	رواية	١٩٧٢	الرابعة	١٩٨٠
الحب تحت المطر	رواية	١٩٧٣	الرابعة	١٩٨٠
الجريمة	مجموعة	١٩٧٣	الخامسة	١٩٨٤
الكرنك	رواية	١٩٧٤	السادسة	١٩٨٢
حكايات حارتنا	رواية	١٩٧٥	الخامسة	١٩٨٤
قلب الليل	رواية	١٩٧٥	الثالثة	١٩٨١
حضرة المحترم	رواية	١٩٧٥	الرابعة	١٩٨٣
ملحمة الحرافيش	رواية	١٩٧٧	الثالثة	١٩٨٤
الحب فوق هضبة الهرم	مجموعة	١٩٧٩	الثالثة	١٩٨٤
الشيطان يعظ	مجموعة	١٩٧٩	الثالثة	١٩٨٤
عصر الحب	رواية	١٩٨٠		
افراح القبة	رواية	١٩٨١	الثانية	١٩٨٣
ليالى الف ليلة	رواية	١٩٨٢	الثانية	١٩٨٣
رايت فيمايرى النائم	مجموعة	١٩٨٢	الثانية	١٩٨٤
الباقى من الزمن ساعة	رواية	١٩٨٢	الثانية	١٩٨٥
أمام العرش (حوار بين الحكام)		١٩٨٣	الثانية	١٩٨٥
رحلة ابن فطومة	رواية	١٩٨٣		
التنظيم السرى	مجموعة	١٩٨٤		
العائش فى الحقيقة	رواية	١٩٨٥		
يوم قتل الزعيم	رواية	١٩٨٥		

تحت الطبع

حديث الصباح والمساء رواية

صباح الورد مجموعة

الأستاذ عبد الحميد جوده السحار

« جذبنى انتــاج السحار الغزير المتنــوع الأغراض ، وشدتنى الى هذا الكاتب ثقافته الواسعة ، المتعددة الجوانب التى أمد بها قراءه ٠

« ولهذا أقدمت على عمل بحثى هذا ، وكلى شغف للاطلاع على المزيد من أعماله الأدبية التى شحذ كل أســلحة علمــه ومعرفته لاخراجها الى عالم النور ، أضــف الى هــذا طبيعة هذا المؤلف وما يتمتع به من صفات وميزات خاصة ، من حس مرهف ، ونظرة لماحة ، وروح شفافة ، ســاعد كل ذلك على اجادته فى كل أعماله برغم تنوعها ٠ »

من رسالة ماجستير للأديبة :

فاطمة الزهراء عبد الغفار الموافى

احمس بطل الاستقلال	
ابو ذر الغفارى	ترجم الى الاندونيسية
بلال مؤذن الرسول	
فى الوظيفة	(مجموعة اقاصيص)
سعد بن ابى وقاص	
همزات الشياطين	(مجموعة اقاصيص)
ابناء ابى بكر الصديق	
فى قافلة الزمان	(رواية)
اميرة قرطبة	(قصة)
النقاب الأزرق	(قصة)
المسيح عيسى بن مريم	
اهل بيت النبى	
محمد رسول الله	

تاليف : مولاى محمد على

ترجمة بالاشتراك مع مصطفى فهمى

قصص من الكتب المقدسة (مجموعة اقاصيص)

صدى السنين (مجموعة اقاصيص) ترجمت الى الاندونيسية

حيـاة الحسين
الشارع الجديد (رواية)
صانعو التاريخ الأمريكى
صانعو الاقتصاد الأمريكى
وكان مساء (قصة)
اذرع وسيقان (قصة)
المستنقع (قصة)
ليلة عاصفة (مجموعة اقاصيص)
الحصــاد (رواية)
جسر الشيطان (قصة)
النصف الآخر (قصة)
السهول البيض (رواية)
ام العروسة (قصة)
قلعة الأبطال (قصة)
وعد الله واسرائيل
عمر بن عبد العزيز
هذه حياتى
الحفيـد
ذكريات سينمائية
كشك الموسيقى
خفقات قلب
صور وذكريات
الاسراء والمعراج
القصة من خلال تجاربى الذاتية

مؤلفات الأستاذ احسان عبد القدوس

(١ ، ٢) صانع الحب وبائع الحب
(٣) انا حرة
(٤) الطريق المسدود
(٥) اين عمرى
(٦) النظارة السوداء
(٧) فى بيتنا رجل
(٨) لا انام
(٩) منتهى الحب
لا تطفىء الشمس (جزء أول)
(١٠) لا تطفىء الشمس (جزء ثان)
(١١) شىء فى صدرى
(١٢) زوجة احمد
(١٣) البنات والصيف
(١٤) لا شىء يهم
(١٥) انف وثلاث عيون (جزء أول)
انف وثلاث عيون (جزء ثان)
(١٦) شفتاه
(١٧) لا ٠٠ ليس جسدك
(١٨) عقلى وقلبى
(١٩) بئر الحرمان
(٢٠) علبة من صفيح
(٢١) ثقوب فى الثوب الأسود

(٢٢) بنت السلطان
(٢٣) سيدة فى خدمتك
(٢٤) نساء لهن أسنان بيضاء
(٢٥) لا أستطيع أن أفكر وأنا أرقص
(٢٦) الوسادة الخالية
(٢٧) دمى ودموعى وابتسامتى
(٢٨) الراقصة والسياسى
(٢٩) حتى لا يطير الدخان
(٣٠) العذراء والشعر الأبيض
(٣١) ونسيت أنى امرأة
(٣٢) الهزيمة كان اسمها فاطمة
(٣٣) لا تتركونى هنا وحدى

الأستاذ الدكتور نبيل راغب

قاص موهوب يسر « مكتبة مصر » أن ننشر أنتاجه

١ ــ توابل الحب
٢ ــ جبروت امرأة
٣ ــ سور الأزبكية
٤ ــ سوق الجوارى
٥ ــ صكوك الغفران

الأستاذ محمـد عبد الحليم عبد الله

« ولكن يمكن الجزم منـــذ الآن قصاعدا بأن محمـد عبد الحليم عبد الله قد فرض نفسه كروائى لدلتا مصر • انه روائى الدلتــا المصرية ، أى ذلك المثلث الأخضر المعلق على خريطة القطــر بواسطة أكبر مدينتين في قارة أفريقيا ، فمن البحر الأبيض المتوسط حتى جبل المقطم ، يسبح عبد الحليم عبد الله المثلث الأرض الخضراء الخصــيبة المليئة بالخيرات والمتناقضات أيضا : الاسكندرية والقــاهرة والريف المزدحم وقد سقاها النيل • انه روائى الدلتا الداخلية ، لأنه يقودنا الى داخل الانسان ، سوف تكتشف فى أعماله صفحات تصف الشواطىء التىتقصفها الرياح ورمالا ساخنة هجرها الحب ، غير أنه يضفى على الانسان قوة رائعـة وسخية تسرى فيـه كالنيل الذى يهب الحياة » •

من دراسة للمستشرق جوردان موتو

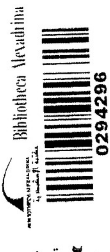
ترجمة سمير وهبى

لقيطة (ليلة غرام)	:	جائزة المجمع اللغوى لأحسن قصة جائزة وزارة الشئون لأحســن فيلم ترجمت الى الفارسية
بعد الغــروب	:	قصــة الفقير الموهوب يشــق طريقه بالفأس فى الصخور • جائزة وزارة التربية والتعليم
شجرة اللبلاب	:	قصة عذراء أهدت قلبها لشاب متردد شكاك • ترجمت الى الانجليزية
شمس الخريف	:	ماذا تاخذ منا الحيــاة وماذا تعطى جائزة الدولة فى الأدب

غصن الزيتون	:	لا تجعلنا نحب من لا يحبوننا حتى لا تشـقينا بالحب مرتين يا الهى · ترجم الى الصينية
الماضى لا يعود	:	مجموعة اقاصيص
من أجل ولدى	:	قصة الحب العائلى والمرأة فى صورها الأربع : أما ، وزوجـة ، وحبيبـة وعشيقة ·
ألوان من السعادة	:	مجموعة اقاصيص
الوشاح الأبيض	:	قصة حب جميل · ولكن هل حققت الأيام منى المحبين ؟
سكون العاصفة	:	قصة طويلة
الضفيرة السوداء	:	مجموعة اقاصيص
الجنة العذراء	:	مجموعة اقاصيص
أشـياء للذكرى	:	مجموعة اقاصيص
خيوط النور	:	مجموعة اقاصيص
حافة الجريمة	:	مجموعة اقاصيص
الباحث عن الحقيقة	:	قصة طويلة
بيت الصـامت	:	قصة طويلة
أسطورة من كتاب الحب	:	مجموعة اقاصيص
للزمن بقيـة	:	قصة طويلة
النافذة الغربية	:	مجموعة اقاصيص
جولييت فوق سطح القمر	:	مجموعة اقاصيص
قصة لم تتم	:	قصة طويلة
الدموع الخرساء	:	قصة طويلة

رقم الإيداع : ٥٣٤٠ / ٨٥
الترقيم الدولى : ٧ - ٠١٩٢ - ١١ - ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



الثمن ٢٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه